الجمهـــورية الجزائـــرية الديمقـــراطية الشعبيـــة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليـم العالي والبحث العلمي

Ministére de L'Enseignement Supérieur

Et de la Recherche Scientifique

جامعة آكلي محند أولحاج

Université Akli Mohand Oulhadj

-البويرة-

-Bouira-

جامعة البويرة

كلية الآداب واللغات

Faculté des lettres et des Langues

قسـم اللغة والأدب العربي

العنـــــــوان

الملكة اللسانية عند كل من ابن خلدون ومالك بن نبي

دراسة مقارنة (وصفية)تحليلية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي

إعداد الطالبة:

- زاوي منيرة
- زيان سارة

إشراف الأستاذة:

- مصطفاي يمينة

السنة الجامعية/2013/2012

كلمة شكر

يسرنا أن نتقدم بأسمى عبارات التحية والاحترام و التقدير والشكر إلى كل من ساعدنا سواء من قريب أو من بعيد حتى انتهينا من انجاز هذا العمل المتواضع وأخص بالذكر الأستاذة الفاضلة " مصطفاي يمينة " التي أنارت طريقنا، ووجهت مسارنا، وكان منها قبول الإشراف على مذكرتنا هذه وعلى جميع المساعدات والنصائح والإرشادات التي قدمتها لنا في مراحل البحث، كما نسأل الله أن يجازيها بكل خير.

وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة، إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، أتقدم بكل تشكراتي إلى كل المعلمين والأساتذة الذين أشرفوا على تكويننا في مختلف الأطوار التعليمية التي مررنا بها.

"كن عالما، فإن لم تستطع كن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

كما لا ننسى جزيل الشكر كل من ساعدنا على اتمام هذا البحث وقدم لنا العون ويد المساعدة، وزودنا بالمعلومات لإتمام هذا البحث.

وفق الله الجميع وسدد خطاهم إلى ما فيه الخير.

وشكرا مرة أخرى للجميع.

إهداء

بعد السجود لله شكرا وتوفيقه لي إتمام هذا العمل أهدي ثمرة جهدي إلى من اقترنت طاعتهما بطاعة المولى جل وعلى إلى أمي العزيزة **ورد**ة التي غمرتني بحبها ودعواتها والتي بفضلها وصلت إلى هذا المستوى ورافقتني بنصائحها طوال مشواري الدراسي أقول شكرا لك على كل شيء

إلى الذي لم يبخل علي بنصائحه وإرشاداته والذي أنار دربي وربانى على حب الخير والعمل عليه وعلى الفضيلة وحب الاجتهاد إليك أبي **يوسف**

إلى الأخوات **جهيدة** و**زهرة** و**شيماء** و**فاتن** وكل من شجعني على الدراسة إلى الأخوين الكتكوت **عبد الرؤوف** والمشاكس **فيصل** ولا أنسى أخي الآخر **محفوظ** أقول لكم شكرا

إلى جميع الأعمام والأخوال وخاصة عمي **السعيد** وخالي **مصطفى** ولا أنسى بالأخص التي لم تبخل علي بالدعاء والنصح طوال أربع سنوات خالتي **حورية** **يهوني** و أدعوا لها بالشفاء

أهدي ثمرة عملي هذا المتواضع إلى من شاركتني بحثي هذا إلى **سارة** الدبدوبة أقول شكرا لك

إلى اللواتي شاركنني أفراحي وأحزاني فكانت لي معهم أحلى وأروع الذكريات، إلى من يسيل القلب حزنا على فراقهم **صبرينة**، **سارة**، **سامية**

إلى أعز وأروع صديقات حياتي **نبيلة** و**لأمية**

إلى كل من أسدى لي بنصيحة من قريب أو بعيد، وإلى كل من أنار دربي ونور بصيرتي فجزاهم الله عني خير جزاء

إليكم جميعا من لم تسعهم مذكرتي وساعتهم ذاكرتي

وشكرا للأستاذة المحترمة التي لم تبخل علينا بالنصائح والإرشادات إليك أيتها الفاضلة الأستاذة **مصطفاي** أقول شكرا...

منيرة...

إهداء

إلى ملأكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان، إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى أغلى الحبايب أمي الغالية فاطمة الزهراء.

إلى من اجتهد في تربيتي، وأنار لي درب العلم والمعرفة، وحرص علي منذ الصغر، واعتنى بي معلمي وأبي إبراهيم العزيز، أتمنى لك دوام الصحة والعافية.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة، إلى رياحين حياتي إخوتي أسامة، محمد، وليد، حسام الدين، لينا، ولا أنسى الكتكوت عبد الغاني

إلى الروح التي سكنت روحي، إلى من سرنا سويا نشق طريق النجاح، إلى خطيبـــــــي ورفيق دربي و ابن عمي أحمد

إلى رمز الحب والحنان وبلسم الشفاء، إلى القلب الناصع بالبياض جدتي فاطمة، و إلى من أفتقده منذ الصغر، أيا من يرتعش قلبي لذكراه، جدي جيلالي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي، إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء، إلى ينابيع الصدق الصافي، إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم سرت، إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات، إلى من سأفتقدهم وأتمنى أن يفتقدوني، إلى أعز الصديقات صبرينة، سامية، منيرة

إلى كل أهلي وعشيرتي من زيان أو قرين، إلى كريمة، آسيا، محمد، حميد، رابح، عبد القادر، إلى كل أعمامي ونساء أعمامي، إلى سلمى، سمية، عيدة، زينب، إلى الكتاكيت: أنس، ابتسام، ندى، يعقوب، نور الهدى، كوثر، وخولة حفظهم الله

إلى كل من يقربني من قريب أو من بعيد، إلى كل من ساعدني ولو بشيء قليل

إلى أستاذتي المشرفة مصطفاي، وإلى كل أساتذتي وكل من أشرف على تعليمي منذ الصغر حتى الآن خاصة معلمي غازي قويدر، وإلى كل من علمني حرفا أهدي هذا العمل المتواضع راجية من المولى عزوجل أن يجد القبول والنجاح.

سارة...

مقدمة

عند حديثنا عن الملكة اللسانية لابد أن نتطرق للاكتساب اللغوي، لنكتشف من خلاله مدى عناية التراث العربي بمسألة تحصيل اللغة و امتلاكها، فالمقصود بالملكة اللسانية القدرة على التحكم في اللغة، هذا إذا أخذ بالمفهوم اللغوي للملكة الذي يعني: القدرة على الشيء، أما اكتساب اللغة فيقصد به: التعلم المباشر لمواصفات اللـــــــغة أو أخذها تلقينا، فهناك في تراثنا الفكري واللغوي، العديد من العلماء والمفكرين الذين نظروا إلى هذه القضية أو ساهموا في بحثها، رغم الاختلافات في القدرات والحوافز والابتكار فكل عالم من العلماء، يمارس مهنته، عليه أن يتعلم حرفته ويتقن ما وصل إليه علمه.

كما لا ننسى إسهام النظريات الغربية الحديثة في تطوير دراسة هذه الملكة ونجد في التراث العربي أن ابن خلدون واحدا من الذين لهم الدور الفعال في تطوير الدراسات اللغوية، فالفكر اللساني الخلدوني بارز في مباحث مقدمته حيث أدرك أن اللغة من مستويات العمران البشري، فتحدث عن تحصيلها وأحوالها جامعا بين النظرية والتجريب بفكر عقلاني ناقد وتفكير معرفي خارق، فكان ابن خلدون بمثابة الأستاذ الأول لهذه الدراسة أي الملكة اللغوية وتبعه العديد من المفكرين،من بينهم ابن نبي الذي كان له هو أيضا أثر بارز حول هذه الدراسة واخترنا أن يكون موضوع دراستنا هذه الملكة اللسانية عند كل من ابن خلدون ومالك بن نبي دراسة مقارنة (وصفية) تحليلية، فدرسنا فيه الأبواب التي تحدث فيها عن الملكة اللسانية أو اللغوية في مقدمته واختيارنا لهذا البحث ليس من باب الصدفة، وإنما رغبة منا في التعمق والكشف عن الموروث اللغوي العربي عامة، ومعرفة آراء واجتهادات كل من ابن خلدون ومالك بن نبي في هذا المجال على وجه الخصوص، فما هي نظرة كل منهما للملكة اللسانية؟ وهل ساهما في إثراء وتطوير الاختلاف بينهما؟

للوصول لأجوبة عن هذه التساؤلات اعتمدنا في بحثنا هذا على الخطة الآتية حيث بسطنا القول في المنهج الوصفي التحليلي المقارني، وقسمنا البـحث إلى فصلين، كل فصل فيه ثلاثة مباحث، فعنونا الفصل الأول: " الملكة اللسانية والاكتساب اللغوي في منظور الدراسات المختلفة " وعرفنا فيه الملكة اللسانية من الناحية اللغوية والاصطلاحية، من منظور الفكر العربي القديم ومن منظور الفكر الحديث والمعاصر.

أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه الملكة اللسانية والاكتساب اللغوي في التراث العربي وعند الغرب، وقد تطرقنا في المبحث الثالث إلى علاقة الملكة اللسانية بالقرآن والشعر والنثر ثم بعد ذلك يأتي الفصل الثاني بعنوان الملكة اللسانية عند ابن خلدون وابن نبي، كذلك هذا الفصل قسمناه إلى ثلاثة مباحث، تحدثنا في المبحث الأول عن الملكة اللسانية عند ابن خلدون وفي المبحث الثاني عن الملكة اللسانية عند مالك بن نبي ثم بعد ذلك عرضنا أوجه التشابه والاختلاف لكل منهما في المبحث الثالث، ثم قدمنا بعض الملاحق تضم السيرة الذاتية لكل من ابن خلدون و لابن نبي، وختمنا دراستنا هذه بخاتمة تناولنا فيها أهم الاستنتاجات والنتائج التي تحصلنا عليها واستفدنا منها خلال الدراسة.

وككل عمل، واجهتنا عدة عراقيل وصعوبات في عملية البحث، تتلخص مجملها في قلة الدراسات حول الملكة اللسانية وبالأخص عن مالك بن نبي.

الفصل الأول:

الملكة اللسانية والاكتساب اللغوي في منظور الدراسات المختلفة

الفصل الأول: الملكة اللسانية والاكتساب اللغوي في منظور الدراسات المختلفة.

إذا أردنا عرض نظرة كل من ابن خلدون ومالك بن نبي حول الملكة اللسانية، استوجب علينا التعريف بالملكة اللسانية، وهذا ما سنراه في كل من المستويين: اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للملكة اللغوية.

لغة: يعطي معجم (العين) للعلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) سمة مهمة للفظ (ملكة) وذلك في بيان العلاقة المتداخلة بين (الملكة) و (المملوك) و (الملك) بكسر الميم، قال: (والمملوك: العبد أقرب بالملوكة، والعبد أقرب بالعبودة، وأصوبه أن يقال: أقرب بالملكة وبالملك).[1]

وقد بين الخليل أيضا علاقة لغوية بين (الملك) بكسر الميم والزواج في المادة نفسها (ملك) قال: (قد أملكوه، وملكوه، أي زوجوه، شبه العروس بالملك).[2]

وجاء في لسان العرب لإبن منظور الملكة من ملكك، مَلَكَهُ، يملكهُ، ملكًا ومَلِكًا وتملكًا ومَلَكَةً ومَمْلكة أي شيء يملكه، الملكة مَلْكُكَ.[3]

المعنى الاشتقاقي لكلمة الملكة يكون مصدرا من ملك، يملك، ملكا وملكة الشيء أكسبته وحصلت عليه، وقد تكون اسم جنس إذا لم يقصد بها الفعل ولكن الصفة الناشئة عن الفعل، ومن ثمة فهي لا تختلف عن الملك المفهوم السياسي إلا بزيادة التاء.[4]

---

[1] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي مؤسسة الأعلمين للمطبوعات، بيروت 1988، ص385.

[2] – المرجع السابق، ص386.

[3] – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي، لسان العرب، دار صادر لبنان، ط4، 2005، ج2، ص126.

[4] – أبو الحسين بن فارس، مقاييس اللغةج5، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، ص352.

وقد اتجه ابن فارس إلى صياغة معنى الملكة وذلك في (المقاييس) قال: (الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء ويقال أملك عجينه وشده، وملكت الشيء قويته...).

ثم قيل ملك الإنسان الشيء يملكه ملكا والاسم: الملك لأن يده فيه قوية صحيحة فالملك: ما ملكك من مال و المملوك: العبد وفلان حسن الملكة أي حسن الصنيع إلى مماليكه.[1]

إذن يلاحظ في نص ابن فارس في المقاييس أمران: إعطاء المعنى لمادة ملك وهو (قوة في الشيء) وهذا التعبير يترجح عند الباحث أن له علاقة بصياغة مصطلح (الملكة) للتعبير عن وجود الشيء (بالقوة) ووجوده (بالفعل) كما يتضح ذلك في المرحلة الثانية من تتبع حياة هذا المصطلح.

الأمر الثاني في نص المقاييس هو إشارة ابن فارس إلى انتقال مادة (ملك) وتبعا لذلك انتقال لفظ (ملكة) عبر ثلاثة أطوار.

فأشار إلى الطور الأول بقـــوله: (الأصل هذا) يعنـــي أن قـــوله:(أملك عجينه، وشده) هو الأصل الأول والاستخدام اللغوي للمادة في طورها المبدئي.

أما الطور الثاني أشار إليه بقوله: (ملك الإنسان الشيء...والآسم الملك لأن يده فيه قوية صحيحة)، فقد ألمح إلى الانتقال إلى معنى أكثر شمولا وتجريدا.

والطور الثالث تخصيص المصدر(ملكك) بسلوك الإنسان مع من يندرج تحت وصف (مملوك)، وأشار إليه بقوله: (وفلان حسن الملكة، أي حسن الصنيع إلى مماليكه).

نخلص مما سبق إلى أن المعنى العام لمادة ملك، وهو (القوة والشدة) حسيا ومعنويا، قد التقى عليه إمامان من أئمة الاشتقاق وفقه العربية معاصران هما ابن

[1] – المرجع السابق، ص354.

فارس وابن جني فهذا ما يدل على أن هذا المعنى قد شاع قبلهما ومن بعدهما متعلقا بمادة (ملك) وأن صلة لفظ الملكة بالقوة في الخلق والطبع والمجية يدخل في ذلك كما يفهم من نص ابن فارس المتقدم في المقاييس.

وقد أكد اللغويون الأوائل مبدأ من مبادئ الخليل، رحمه الله تعالى، ورود لفظة الملكة (في عدد من الشواهد في القراءات القرآنية والحديث الشريف، وفيما يتصل بالقراءات القرآنية فقد نقل ابن جني في (المحتبس) قراءة للآية83 من سورة يس في قوله تعالى: " فسبحان الله الذي بيده ملكوت كل شيء" قال: " ومن ذلك قراءة طلحة وإبراهيم التيمي و الأعمش (ملكة كل شيء)، قال أبو الفتح: معناه والله أعلم، سبحان الذي بيده عصمة كل شيء وقدرة كل شيء، وهو من ملكت العجين إذا أجدت عجنه فقويته بذلك، ومنه الملك لأن القدرة على المملوك ومنه الملك لأن به قوام الأمور".[1]

أما في الحديث الشريف فقد ورد ذكر الملكة في روايات مثل:

كان الجوهري (ت393هـ) قد سبق إلى الاستشهاد بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لشرح معنى (حسن الملكة)، قال: يقال فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصنع إلى مماليكه وفي الحديث: "لا يدخل الجنة سيء الملكة".[2]

ثم يضيف ابن الأثير في النهاية(ت252هـ) إلى ما ذكره الجوهري حديثا آخر شارحا حسن الملكة وسوءها ويقول في الحديث الشريف "حسن الملكة نماء" يقال فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصنيع إلى مماليكه ومنه الحديث "لا يدخل الجنة سيء الملكة" أي الذي سيء صحبة المماليك.[3]

---

[1] – أبو الفتح بن جني، الخصائص، دار الكتب العلمية لبنان، ج1، ط2، 2001، ص139.

[2] – اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة العربية، مادة(ملك) ج4، تحقيق مهدي المخزومي، دار النشر د.ب، 1989، ص11–12.

[3] – مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث و الأثير ج4، مادة ملك تحقيق أحمد الزاوي ومحمد العنابي، القاهرة 1963، ص358.

اصطلاحا: المراد بالملكة اللسانية أو اللغوية تلك القدرات التي في ذهن الشخص التي تمكنه من تكوين الأشكال المتنوعة للجمل اللغوية تكوينا سليما أو تساعده على فهم كل أشكال الجمل في اللغة المعينة فهما سليما.

وتدل في اللسان اليوناني على حمل الأشياء التي هي أطول زمانا في الثبوت وأعسر حركة فإنهم لا يقولون فيمن كان غير متمسك يقصد به إحالة ملكه.[1]

ولابد من الإشارة إلى وجود عدة ملكات مختلفة ملكة اللغة وملكة البلاغة وملكة الشعر وملكة الكتابة وحتى الملكة التصوفية وكلها تنصب في مفهوم "عبارة عن بنية نفسية عصبية على صورة المنوال الراسخ في النفس من جراء الممارسات الفعلية، وهذه البنية تتكيف حسب ما يرد عليها من الادراكات وتتحول بالتكرار إلى طبيعة تخرج صورتها من القوة إلى الفعل.[2]

وقد تعددت الآراء وتنوعت الرؤى التي أدلى بها العلماء حول مصطلح "الملكة اللغوية" وهذا في محاولة واعية لتأسيس مفهوم واضح يعبر عن ماهية هذا المصطلح وإن اختلفت التسميات المعبر عنها وسنرى من خلالهما مفهوم الملكة عند القدماء وعند المحدثين.

أوّلاً: الملكة اللسانية من منظور الفكر العربي القديم.

عند تصفحنا لبعض ما جاء في التراث العربي القديم نجد تعاريف عديدة فيما يخص الملكة اللغوية، وهذه التعاريف متقاربة إلى أبعد الحدود فمثلا ابن جني (ت392هـ): فقد انطلق في تفسيره لمفهوم الملكة اللغوية من منطلق لغوي محض، ومن تصور منهجي خاص به بحكم معطيات عصره وعرف النحو تعريفا لا يبتعد كثيرا عن معنى الملكة اللغوية وهو إتباع طريقة العرب في كلامهم حيث يقول:

[1] – السيد الشرقاوي، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص33.

[2] – المرجع السابق، ص34.

"النحو هو انتهاء سمت كلام العرب"[1]، وفي تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطلق بها وإن لم يكن منهم وإن شد بعضهم عنها، ردٌ به إليها.[2]

وبهذا يكون امتلاك المتكلم للغة عربية فصيحة وإن كان بعيدا عن تلك البؤر والبيئات الصافية المحتج بها مرهون بالسماع الأصيل لأنماط كلامها (كلام البوادي) والقياس عليها قصد اكتساب وتعلم تراكيب لغوية سليمة.

ولقد أورد ابن جني في شأن السماع والقياس جزء لا بأس به في كتابه (الخصائص) فهو بذلك يطرح مسألتين هامتين عن طريقهما يتم الاكتساب اللغوي وبالتالي تحصيل الملكة اللغوية وهما السماع والقياس...[3] ورأى فيهما شروطا لابد منها حتى يستقيم التحصيل اللغوي على أكمل وجه، وهو ما لمسته في معظم أجزاء كتابه فأذكر منها على سبيل المثال قوله في باب (تعارض السماع والقياس): "إذا تعارضا نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم تقسه في غيره وذلك نحو قول الله تعالى: "استحوذ عليهم الشيطان" فهذا ليس بقياس، لكنه لابد من قبوله لأنك إنما تنطق بلغتهم وتحتذى في جميع ذلك أمثلتهم، ثم إنك من بعد لا تقيس عليه غيره ألا تراك لا تقول في استقام: استقوم ولا استباع: استبيع..." ما معنى أن القياس لا يمكن الأخذ به في كل الحالات التي يرد فيها الكلام المسموع.

أما الملكة اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) "أن تحصل للنفس هيئة بفعل من الأفعال ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، أما إذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلق".[4]

---

[1] – أبو الفتح بن جني، الخصائص، ص 88.

[2] – المرجع السابق، ص221.

[3] – المرجع السابق، ص263.

[4] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الكتب العلمية، ط1، 1978، ص175.

فالجرجاني يرى أنها حالة إذا كانت سريعة الزوال أما إذا تم تكرارها وأصبح تكرارها بطيئا تصير ملكة، كما أنه يقدم تصورا لمفهوم الملك اللغوية على أساس النظم، أي أن صاحب الملكة اللغوية، هو ما يمتلك القدرة على توخي معاني النحو في تركيب وتأليف كلامه إذ "ليس الغرض بنظم الكلام إن توالت ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل...(ثم يضيف قائلا) فلا نقول إن الاستعمال اللغوي صحيح أو خاطئ لأنه لا يطابق أو يخالف التركيب النحوي إلا إذا عرف القصد من ذلك الاستعمال.[1]

فهو يؤكد بذلك مكانة القصد الذي يريده المتكلم من وراء نظمه لذلك الكلام، وبه يتحدد جانب الخطأ أو الصواب فيه ومن ثمة يكون علم النحو نابعا وملازما بالضرورة لدلالة التي هي موضوع علم الدلالة.

وأشار العلامة فخر الدين الرازي إلى مصطلح (الملكة) في تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) عند تفسير قوله تعالى: "وكذلك نوري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين" سورة الأنعام الآية 85، وما أورده في ذلك الصدد بيان صلة (الملكة) بـ (اليقين) الذي تحدده الآية، وأن كثرة الأفعال سبب لحدوث الملكة، فكثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جار مجرى تكرار الدرس الذي لا يزول عن القلب...[2]

وكذلك ورد مصطلح الملكة في شرح فخر الدين الرازي لكتاب ابن سينا (شرح عيون الحكمة) "إن القوة العاقلة إلى زمان الأربعين قد تكررت عليها الادراكات التصورية والتصديقية وكثرة الأفعال سبب لحصول (الملكة) فلما لا يجوز زيادة قوتها على الادراكات إنما كانت بسبب حصول هذه الملكة التي ذكرناها".[3]

---

[1] – المرجع السابق، ص178.

[2] – فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، تحقيق الدكتور يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية، 1991، ص43-44.

[3] – ابن سينا، شرح عيون الحكمة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1989، ص105.

كما ورد ذكر (الملكة) عند سيف الدين الآمدي (ت561هـ) في كتابه (المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين) عندما شرح مصطلح العقل بالملكة.

كما يتحدث أبو حامد الغزالي عن الملكة في كتابه (معارج القدس) وذلك من خلال شرحه لقوى (النفس الإنسانية الناطقة) أشار إلى قوتين: (قوة عالمة وقوة عاملة)، ثم يفصل القول في (القوة العالمة) أو (القوة النظرية متناولا في ذلك مصطلح الملكة) فيقول: (وذلك أن الشيء الذي من شأنه أن يقبل شيئا، قد يكون بالقوة قابلا له، وقد يكون بالفعل...فيقال (قوة) للاستعداد المطلق الذي لا يكون خرج منه شيء بالفعل... كقوة الطفل على الكتاب، ولا يقال (قوة) لهذا الاستعداد، إذا كان لم يحصل إلا ما يمكن به أن يتوصل إلى اكتساب الفعل بلا واسطة، كقوة الصبي الذي ترعرع وعرف الدواة والقلم وبسائط الحروف على الكتابة، ويقال لهذا الاستعداد إذا تم بالآلة وحدث معه أيضا كمال الاستعداد بأن يكون له أن يفعل متى شاء بلا حاجة إلى اكتساب، بل يكفيه أن يقصد فقط، كقوة الكاتب المستكمل للصناعة هذا كان لا يكتب، والقوة الأولى (أي الاستعداد المطلق) قوة مطلقة، والقوة الثانية تسمى (ممكنة) و(ملكة)، والقوة الثالثة: كمال القوة، ثم يقول عن القوة الثانية: الملكة مبين أن (الاستعداد المطلق) يكون في حالة الملكة قد حصل فيه من المعقولات الأولى التي يتوصل منها إلى المعقولات الثانية، ولكن أبا حامد لا يبرح حتى يطبق منهجيته في طرح الفكرة في أمثلة شرعية أو فقهية في الغالب، فيذكر في هذا السياق عنوانا هو (بيان أمثلة مراتب العقل من الكتاب الإلهي) يقول في ترجمة هذا العنوان: (أعلم أن الله تعالى ذكر هذه المراتب في آية واحدة، فقال: "اَللَّهُ نُوْرُ اَلْسَمَوَاتِ وَاَلْأَرْضْ مَثَلُ نُوْرِهِ كَمِشْكَاْةٍ فِيْهَاْ مِصْبَاْحْ اَلْمِصْبَاْحُ فِيْ زُجَاْجَةٍ اَلْزُجَاْجَةُ كَأَنَهَاْ كَوْكَبٌ ذُرِيٌّ يُوْقَدْ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَاْرَكَةٍ زَيْتُوْنَةٍ لَاْ شَرْقِيَةٍ وَلَاْ غَرْبِيَةٍ يَكَاْدُ زَيْتُهَاْ يُضِيْءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسَهُ نَاْرْ نُوْرٌ عَلَىْ نُوْرْ يَهْدِيْ اَللَهُ لِنُوْرِهِ مَنْ يَشَاَءْ وَيَضْرِبُ اَللَهُ اَلْأَمْثَاْلَ لِلْنَاْسِ وَاَللَهُ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيْمْ ".[1]

[1] – سورة النور، الآية 24-25.

فكما أن المشكاة مستعدة لأن يوضع فيها النور، فكذلك النفس بالفطرة مستعدة لأن يوضع فيها النور، فكذلك النفس بالفطرة مستعدة لأن يفيض عليها نور العقل، ثم إذا قويت أدنى قوة، وهلت لها مبادئ المعقولات فهي (الزجاجة) فإذا بلغت درجة تتمكن من تحصيل المعقولات بالفكرة الصائبة فهي (الشجرة) لأن الشجرة ذات أفنان كذلك الفكرة ذات فنون، فإن كانت أقوى وبلغت درجة (الملكة) فإن حصل لها المعقولات بالحدس فهي (الزيت)، فإذا كانت أقوى من ذلك فيكاد (زيتها يضيء، فإن حصل له المعقولات فهو "نور على نور": نور العقل المستفاد على نور العقل الفطري...).[1]

ثانيا: الملكة اللغوية من منظور الفكر الحديث والمعاصر.

لقد حاولت الدراسات اللغوية الحديثة والمعاصرة تحليل هذا المفهوم، وفق تفكير علمي مؤسس يعكس ما وصل إليه التفكير الإنساني في مجال البحث اللغوي في مختلف اتجاهاته، فاستخدمت عدة مصطلحات للتعبير عن مفهوم الملكة والتعريف بها حسب التوجه الذي تبناه كل فريق سواء عند اللغويين العرب أو عند العلماء الفرنسيين، ومن أهم الآراء والتحليلات حول الملكة اللسانية عند العرب:

عبد القادر الفاسي الفهري: يفسر لنا تصوره لمفهوم الملكة اللغوية انطلاقا من ربطها بذلك المخزون الذي يمتلكه المتكلم في ذهنه، ولا يشعر به، وهذا عند حديثه عن المتكلم الذي يتكلم بلغته الطبيعية قائلا: (كل متكلم للغة طبيعية قد قر قراره على مخزون ذاكري غير واع، يجلي معرفته لتلك اللغة وملكته فيها، وهذا المخزون عبارة عن معجم ذهني يمثل الثروة المفرداتية المخزنة وجهاز قواعدي نشيط يرسم أسس تأليف هذه الأبجدية)[2] إذ يشير إلى ذلك المصدر الذي يجمع ثروة المتكلم اللغوية والمسؤول عن امتلاكه لتلك الملكة اللغوية، وهذا دون وعي مسبق للمتكلم بها، أما عند

[1] – أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، حققه الشيخ محمد مصطفى أبو العلاء، مكتبة الجندي بالقاهرة، 1968، ص113.

[2] – عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2000، ص6.

حديثه عن المتعلم الذي يسعى إلى اكتساب الملكة اللغوية بالتعلم، والقصد هنا تعلم لغة أخرى وإضافتها إلى رصيده اللغوي الطبيعي حتى يمتلك تلك الآليات اللغوية والأدوات الخاصة بتلك اللغة، وقد عبر عن ذلك بقوله (وكل متعلم للغة يتزود عادة، بأدوات لغوية صناعية ضمنها قاموس يعينه على تمثل معاني المفردات وصيغها وأصواتها وكذلك قواعد نحوية وصرفية تعيد إلى ذهنه طرق تأليف الوحدات المعجمية)[1] فالمتعلم هنا على حد تعبير الفهري يتوسل في امتلاك تلك اللغة الوسائل التي تعينه على تحصيلها كالقواميس التي تحوي المادة الافرادية الخاصة به فعندئذ يتمكن من تمثيل ما يريد تبليغه بها.

وقد ربط عبد الرحمن الحاج صالح مفهوم الملكة اللغوية بذلك الجانب الباطني اللاشعوري لدى متكلم والمكون لنظام لغته فيشرح ذلك بقوله: (ذلك النظام الذي اكتسبه المتكلمون على شكل مثل وحدود إجرائية، وهم لا يشعرون شعورا واضحا بوجودها وكيفية ضبطها لسلوكهم اللغوي إلا إذا تأملوه، وإن كان هذا التأمل لا يفيدهم شيئا إذ هو مجرد استبطان، وإحكامهم للعمليات التي تنبني على تلك المثل هو الذي يسمى الملكة اللغوية).[2]

فصاحب اللغة حين يتكلم لا يحس بتلك العمليات الباطنية التي سماها بالمثل والحدود الإجرائية إلا إذا قصدها بالتأمل، لذلك فالحاج صالح يجعل من هذه بالمثل (وسيلة من وسائل اكتساب اللغة في شكلها الفردي "الكلام"عن طريق العمليات التي لا يشعرها المتكلم، ولكن يشعر نتاجها، لذلك نجده يصف هذه القدرة اللغوية بفعل المتعة حيث يتجلى ذلك أثناء إنجاز الكلام دون شعور مسبق من المتكلم)، ويفرق حاج صالح بين نوعين من المعلومات اللغوية والتي تأتي عليهما الملكة اللغوية في هيئتين مختلفتين:

---

[1] – المرجع السابق، نفس الصفحة.

[2] – عبد الرحمن حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، العدد4، الجزائر 2004، ص40.

النوع الأول:تكون فيه الملكة اللغوية في هيئة عضوية، أي مكتسبة بقوة الفطرة عند المتكلم، تخص المتكلم كمتكلم، والمخاطب كمخاطب ومعنى ذلك أنها راجعة إلى الملكة اللغوية التي اكتسبها الإنسان، فكل إنسان مفطور على تلك الجبلة،[1] ومن ثمة فإن هذا النوع حسبه يمثل ذلك الجانب العملي الذي تتجلى فيه الممارسات اللغوية المحكمة لدى المتكلم.

النوع الثاني: تكون فيه الملكة اللغوية في هيئة نظرية حيث ينظر إليها كموضوع للدرس والبحث في أسرارها وقضاياها المختلفة ويقوم بهذا الدور متخصص في هذا المجال وهو اللساني، وهذا الأخير في نظر حاج صالح تكون (معرفته لظاهرة اللسان... معرفة علمية محضة وهي غير ملكته اللغوية التي اكتسبها مثل أي إنسان آخر في اللغة التي يحكمها وليست هذه المعرفة إذا من قبيل الأفعال المحكمة التي بها الكلام من الخطأ واللحن، بل هي من قبيل النظرية البحتة،[2] ومن خلال هذا التحليل الذي قدمه حاج صالح حول قضية الملكة اللغوية وفق معطيات عصرنا الحالي، نلاحظ أنه يعود بنا إلى نفس الاستنتاج الذي توصل إليه ابن خلدون في عصره منذ قرون خلت، وهذا حين أجرى فرقا بين من يجيد صناعة قوانين الملكة ولا يتقنها ممارسة كحال جهابذة النحو و المهارة في صناعة العربية على حد قوله، وبين من يجيدها نظما ونثرا ويحكمها عملا وهو جاهل بقوانينها، وهم غالبا أعراب البوادي.[3]

وكذلك الحال في وقتنا هذا بالنسبة للإنسان العادي الذي ينشأ متمكنا من لغة محيطه وبين الباحث اللغوي اللساني الذي يبحث عن آليات وأسرار تلك الملكة، والعلاقات التي تحكمها، لكن دون أن يتبعها في غالب الحالات بتمثيل فعلي لها على مستوى التطبيق.

---

[1] – عبد الرحمن حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص176.

[2] – المرجع السابق، ص177.

[3] – ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص150.

أما عند الغرب فنجد فرديناند دي سوسير الذي يعد المؤسس الأول للنظرية اللغوية القائمة على دراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية موضوعية، فهي موضوع الدرس تدرس في ذاتها ولذاتها بمعزل عن أي مقصد أو غرض خارجي ولقد لخص نظريته هذه من خلال إخضاعها لما يسمى بالتقابلات بين المفاهيم أو ما يسمى بثنائيات اللغة، وهذا بعد فهم ووعي عميق بالظاهرة الإنسانية، ومن بين تلك التقابلات التي توضح وجهة نظره للملكة اللغوية لدى المتكلم، هو أنه ربط استعمال اللغة بالمؤسسة الاجتماعية كشرط من شروط امتلاك الفرد لهذه الملكة، أو على حد اصطلاحه ملكة الكلام المقطع وهي تلك القدرة أو ذلك الاستعداد الذي يؤهل الفرد لاستعمال اللغة حيث يقول: (يوجد لدى كل فرد ملكة يمكن أن نطلق عليها اسم ملكة الكلام المقطع... وتقوم هذه الملكة على أعضاء ثم ما يمكن أن نحصل عليه من عمله...) فهو يشترط في مواصفات هذه الملكة سلامة بدايتها أثناء النطق بها لكنها في نظره تبقى ناقصة إذا كانت مقتصرة على الفرد وحده دون الجماعة إذ يحدث التكامل بممارسة واستعمال اللغة في إطار ما تواضع عليه العرف الاجتماعي، كون اللغة ظاهرة اجتماعية فإذا لم يحدث التواصل مع الطرف الآخر، لا يمكن لهذه الملكة أن تكتمل لأنها: (في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة من المواصفات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة...).[1] وعليه فإن اللغة من هذا المنظور هي تطبيق الفرد لملكة الكلام من خلال المواصفة الاجتماعية وفي ذلك إقرار جماعي امتلاك الفرد لتلك الملكة.

أما عند نعوم تشو مسكي: فقد أسهم هذا العالم في الدفع بحركة الدراسات اللغوية إلى التطور من خلال اكتشافه لآليات اشتغال هذه الملكة اللغوية وهذا على ضوء هديه إلى ابتكار نظرية جديدة لاستكمال النقائص التي لاحظها في الاتجاهات اللسانية السابقة حيث تقوم ركيزة هذه النظرية على أساس التوليد والتحويل وبالتالي انطلق في تفسيره لمفهوم الملكة اللغوية أو الكفاءة اللغوية من منطلقين:

[1] – عبد القاهر المهيري، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986، ص26.

- باعتبارها كفاءة لغوية عند المتكلم: ويعني هنا المتكلم النموذجي أو المثالي، الذي يمتلك معرفة ضمنية لقواعد لغته أي أنه يوظف قواعد لغته بطريقة لا شعورية وهي كذلك: (تلك القدرة التي يمتلكها كل فرد من أفراد مجتمع معين، بحيث تمكنه في المناسبات المختلفة من التعبير عما يريد بجمل نحوية جديدة لم يسمعها قط من قبل ويسمى هذه الملكة المعرفة اللغوية، ويعتقد بأن أهم مقومات هذه القدرة هي معرفة الفرد بالقواعد الصرفية والنحوية التي تربط المفردات بعضها ببعض في الجملة بالإضافة إلى معرفة مجموعة أخرى من القواعد أطلق عليها اسم القواعد التحويلية حيث يتمكن الفرد من توليد الجمل الصحيحة والمقبولة في لغة معينة...).[1]

فتشومسكي ينبهنا هنا إلى ذلك الجانب الإبداعي الخلاق في لغة الإنسان والذي يمنحها المرونة في مختلف الاستعمالات التواصلية اليومية.

- باعتبارها إنجازا فعليا: وهو الأداء الكلامي للمتكلم أين يظهر تلك القدرة من خلال ما ينطق به فعلا أو بتعبير أدق، هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين حيث يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفاءته اللغوية.[2]

وبالتالي تتحقق هذه الكفاءة اللسانية عمليا في المواقف التواصلية، إلا أنه لا يمكن لهذه الكفاءة أن تتجسد كلية في الواقع الإستعمالي للمتكلمين إذ يشير ميشال زكريا إلى أن هذا الأداء الذي نفترضه يعكس مباشرة كفايته اللغوية السليمة بمفهومها التالي لا يسلم في الواقع اللغوي من انحرافات عن القواعد،[3] ذلك أن الأداء اللغوي في نظر تشومسكي تتجاذبه عوامل متعددة بفضل الظروف الخارجية قد تحول دون بروزه

---

[1] – عبد الرحمن حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص176-177.

[2] – ميشال زكريا، الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت:1982، ص33.

[3] – المرجع السابق، ص34.

بوجهه الكلي، وبالتالي فإن الكفاءة الضمنية للمتكلم تبقى في أغلبها كفاءة نظرية تجريدية لا علاقة لها بالواقع الفعلي لمستعمل اللغة من حيث الصواب والخطأ فيها.

وقد عالج تمام حسان قضية اكتساب الملكة اللغوية من خلال كتابه (اللغة العربية بين الوصفية والمعيارية) منتهجا في ذلك المنهج السياقي الاجتماعي الذي ينظر إلى اللغة من المنظور الاجتماعي، ويتمثل رأي تمام حسان في أن المتكلم صاحب لغة، وهذه الأخيرة محاطة بسياج اجتماعي يتضمن العادات والقوانين العرفية المتفق عليها، ويوضح لنا علاقة امتلاك المتكلم للملكة اللغوية من خلال تواصله مع مجتمعه كفرد من أفراده، إذ تمثل اللغة على حد تعبيره: (الأداة الوحيدة التي تمكن الفرد من الدخول في نطاق المجتمع الذي يعيش فيه، ولولا هذه اللغة لظل حبيس العزلة الاجتماعية، فالمتكلم الذي يستعمل لغة المجتمع الذي نشأ فيه يستعمل أصواتها وصيغها ومفرداتها وتراكيبها حسب أصول استعمالية معينة يغدقها بالمشاركة في التخاطب ويمرن عليها، ويطابقها دون تفكير في جملتها أو تفصيلها...)[1] ومعنى ذلك أن العرف الاجتماعي هو المسؤول عن تكوين هذه اللغة لدى المتكلم من خلال تمرنه على استعمالها وفق العرف اللغوي الذي حددته الجماعة، بحيث يحدث كل هذا دون أن يسأل المتكلم نفسه عن سبب أدائه للغة على تلك الطريقة.

وبذلك يكون هذا الاتجاه الذي تبناه تمام حسان شبيها بمنهجه بما نادت به نظرية الجرجاني التي تدعوا إلى ضرورة الاهتمام بالسياق اللغوي لفهم المقصود من وراء الرسالة.

[1] – تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية، ط4، عالم الكتب القاهرة، 2000، ص17.

المبحث الثاني: الملك اللسانية والاكتساب اللغوي.

إن موضوع الملكة اللسانية واكتساب اللغة قضية تتقاطع وتشترك فيها العديد من الاختصاصات والمعارف.[1] فهناك كثير من القضايا الواضحة في أحد مجالات الاكتساب اللغوي تتداخل مع قضايا أخرى، ولا شك في أن دراسات اكتساب اللغة تعد أحد فروع اللغويات التطبيقية، ولقيت دراسة اكتساب اللغة اهتماما كبيرا على إثر النظرية السلوكية في علم النفس والنظرية البنيوية في علم اللغة ومن ثم ظهور نظرية النحو التوليدي والتحويلي على يد عالم اللغة الأمريكي نعوم تشو مسكي وهكذا أوجد علماء النفس وعلماء اللغة نقطة تقاطع تولد عنها حقل حديث هو علم اللغة النفسي (Psycholinguistiques) الذي جعل من دراسة اكتساب اللغة أحد أبرز اهتماماته، وبذلك أتاح هذا العلم الفرصة لدراسة وبحث واكتساب اللغة الأولى عند الأطفال واللغة الثانية أو الأجنبية لدى الأطفال والكبار معا، وتوسعت وتفرعت دراسة اكتساب اللغة لتشمل تطور ونمو واكتساب العناصر اللغوية المختلفة في جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتواصلية.[2]

الاكتساب: مصدر من الفعل اكتسب، والمكتسب: (مجموع المواقف والمعارف والكفاءات والتجارب التي حصل عليها، وامتلكها فعلا شخص من الأشخاص)[3] والاكتساب اللغوي مصطلح يطلق في أغلب الدراسات التي أقيمت حول لغة الطفل، على المرحلة ما قبل سن السادسة، أي ما قبل دخول المدرسة وبالتالي فإن معنى الاكتساب هو أخذ اللغة بسهولة ويسر وبطريقة طبيعية لا شعورية ودون بذل

---

[1] – عبد السلام المسدي، نظرية العرب في اكتساب اللغة، مجلة الأقلام بغداد، دار الجاحظ، العدد8، 1979، ص43.

[2] – ميشال ماكار، الخطاب اللغوي واكتساب اللغة في علم اللغة التطبيقي، ترجمة المركز الثقافي للتغريب والثقافة، ط1، 2009، ص97–98.

[3] – بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث–عربي–إنجليزي–فرنسي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، مادة (كسب من الاكتساب) ص340.

طاقة في ذلك، حيث تتم هذه العملية في معظمها بطريقة غير واعية ويجهل فيها الطفل (المتكلم) وجود قواعد لغوية... وقد ارتبطت هذه الفترة باكتساب اللغة الأولى أي لغة الأم،[1] وهي المرحلة التي يكون فيها الطفل شبه صفحة بيضاء، و يستقبل فيها أبجديات لغته.

وعملية اكتساب اللغة لدى الطفل تنمو باستمرار وبشكل طبيعي في مراحل طفولته، إذ يولد بقابلية على التكلم، وهيأ له مناخ للتواصل والاحتكاك مع أفراد أسرته وأفراد محيطه الخاص (الشـــــــارع أو القـــرية التي يسكن فيها) حيث يمر بسلسلة من المراحل المتعاقبة، ليكتمل نموه اللغوي ببلوغه حسب علماء النفس والتربية المهتمين بهذا الموضوع سن ما قبل السادسة، حيث يعبر بلغته الأم عن أغراضه وحاجاته.

وكذلك يزخر التراث العربي بتساؤلات ورؤى حول هذا البحث تعكس مجموعة من التشابهات والاختلافات، ولعل القضية تنحصر في البعد الفكري لكل واحد منهم اتجاه اللغة، فكلما تغيرت زاوية النظر لها تغيرت زاوية النظر لتحصيل الملكة اللسانية أو الاكتساب اللغوي.

أولا: الاكتساب اللغوي في التراث العربي.

عند التطرق إلى الاكتساب اللغوي عند العرب لابد من طرح السؤال التالي: إلى أي مدى بإمكاننا الحديث عن نظرة الاكتساب اللغوي في التراث العربي؟ وهل تسنى للفكر اللغوي العربي الاكتفاء بمسائل اكتساب اللغة؟ وللجواب عن كل هذه التساؤلات تناولنا النصوص القديمة بغية الحصول على النصوص التي تطرقت إلى مسألة الاكتساب اللغوي محاولين أن نكتشف من خلالها مدى عناية التراث العربي بمسألة تحصيل اللغة وامتلاكها وتوصلنا إلى نتيجة مفادها أن تراثنا الفكري واللغوي يفيض

[1] – محمد هاشمي، المحيط اللغوي وأثره في اكتساب اللغة، دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص84.

بالعلماء والمفكرين الذين نظروا في هذه القضية وأسهموا في بحثها، وكانت لهم في ذلك نظرات ثاقبة وإن اختلفت عن النظرة الحديثة للاكتساب اللغوي، ومن أهم من ساهم البحث في هذا المجال نجد:

1- ابن حزم: يرى ابن حزم أنه لا يوجد فضل للغة على أخرى ولا مزية بينهما إلا بالعمل والاختصاص، واللغة عنده وسيلة للتبليغ والتواصل، تكون بين المجتمعات وهذه اللغة تقوى بقوة أهلها.[1]

2- الخليل ابن أحمد الفراهيدي: هو من علماء الطبقة الثالثة بالبصرة وقد اشتهر بسعة حفظه، ومنهجيته وطريقة تفكيره، ويعتبر عمله الفكري الضخم تأسيسا للفكر العربي الإسلامي لكنه حصر أفكاره التي استثمرت في مجال البحث اللغوي واكتساب اللغة في مايلي:

- القراءة القرآنية وقراءة النصوص اللغوية.

- البحث الصوتي وطريقة ترتيب الحروف في معجمه ابتداء من الحلق إلى الشفتين على هذا العمل الواسع، ينكشف لنا واحد من العلماء الذين ما زالت أعمالهم ترقى إلى مستويات عليا من الفكر.[2]

3- سبويه: لقد كان سبويه وفيا لأستاذه الخليل واتسم منهجه بالتوسيع والتبسيط واستخدام مصطلحات رياضية، واعتمد نظرية الإفادة من الكلام ويسميها إفادة المخاطب بالجديد، والجملة المفيدة عنده هي الكلام لذي يحصل منه المعنى ويحسن السكوت عليه وهو نفس القصد من الخطاب، وقد نظر سبويه الى اللغة من جانبها الإعلامي التبليغي أو ما يسمى بالإخبار والمخاطبة كما اهتم بالمخاطب باعتباره طرفا في العملية التبليغية ولذلك نراه يستخدم الاختصار والحذف، وحال التخاطب، أما

---

[1] - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، ص215.

[2] - المرجع السابق، ص181-182.

مستويات الكلام عنده فهي: المستقيم الحسن، والمستقيم القبيح، والمستقيم المحال، والمستقيم الكذب،[1] واهتم سبويه في بحثه اللغوي باستقامة اللفظ واستقامة المعنى، ليس كاهتمام الكثيرين بالجانب الشكلي فقط.

4- الجاحظ: اهتم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بالكلام عن اللغة الثانية وصعوبتهما وإشكالية التداخل في المستويات، كما تعرض الجاحظ في كتابه الحيوان إلى الترجمة وصعوبتها حيث قال: (ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس وغاية).

شدد الجاحظ على ضرورة الإلمام للغتين حيث قال: (واللغتان إذا التقيتا في اللسان الواحد دخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتهما)، كما حدد القيمة العلمية للكتاب بأنها تكمن في الاكتساب، كما أنه وضع قواعد لاكتساب المعرفة والفهم والتبليغ وهي:

- تقسيم أقدار الكلام.
- اتفاق أجزاء الكلام في قرانها وتلاحمها.
- نظم الكلام وتأليفه وسبكه ونحته.[2]

5- القاضي عبد الجبار: في معرض حديثه عن الاكتساب اللغوي فإنه يعدد الكلام بكونه فعلا إنسانيا وملكة تكتسب بالميدان، فالكلام يلتحق بالصناعات وهو: (من الأفعال المحركة كالبناء والنساجة والصياغة).[3]

كما أنه يعتبر أن الاختبار عن طريق اكتساب اللغة[1] إذن فالكلام عند عبد الجبار ملكة صناعية كالبناء، والنسيج تكتسب بالممارسة والدربة والاختبار.

---

[1] - المرجع السابق، ص228-229.

[2] - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص229.

[3] - محمد الأوراغي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، دار الكلام للنشر والتوزيع، ط1، ص11.

6- ابن خلدون: يرى أن اللغة تتولد عن طريق ملكة أو صفة راسخة تقترب من مفهوم الكفاية اللغوية عند أصحاب الفكر التوليدي.

يقول ابن خلدون في مقدمته: (إلا أن اللغات إنما كانت ملكات كما مر، كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات).[2]

فالملكة اللسانية بذلك هي الأساس، في لغة المنشأ، حيث يترعرع الإنسان وهي بالتالي تكون تامة في اللغة الأم، ويصعب على الإنسان اكتساب ملكة لسانية أخرى تكون تامة وراسخة مضافة إلى ملكتها الراسخة التي اكتسبها من البيئة التي ترعرع فيها.

ويشير ابن خلدون إلى العلاقة القائمة بين الملكة اللسانية وصناعة العربية فيقول: (ذلك أن صناعة العربية هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها الخاصة).

من الواضح أن ابن خلدون ميز بين الملكة اللسانية الفطرية وبين صناعة العربية المكتسبة بالتعلم وهذا التميز يقارب إلى حد كبير ما قام به تشو مسكي في التفرقة بين الأداء والكفاية اللغوية، حيث أن هذه الكفاءة اللغوية أو الملكة اللسانية لا تعدوا أن تكون أمرا ذهنيا يتولد منه الكلام، إذ هي معرفة ضمنية بالقواعد التي تنتج الجمل أما الأداء الكلامي فهو تطبيق لهذه المعرفة الضمنية بالقواعد، أثناء عملية توليد الكلام.

خلاصة القول: أن الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون هي المقدرة على صناعة العربية إذ يكفي اللجوء إلى قوانينها لكي يصوغ العربي الكلام الصحيح كما أن الكفاءة اللغوية هي تكلم اللغة واكتسابها، ولقد أدرك ابن خلدون دور العملية الإبداعية في اكتساب اللغة.

---

[1] – المرجع السابق، ص14.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص80.

ثانيا: الاكتساب اللغوي عند الغرب.

1-الاكتساب اللغوي من منظور النظرية التوليدية التحويلية (تشو مسكي): يرى هذا الاتجاه الذي يقوده نعوم تشومسكي أن اللغة أكبر من أن تنحصر في المثير الخارجي والاستجابة له، فهي أعقد من ذلك بكثير، وقد ردّ على آراء سكينر السلوكية وأتباعه من خلال كتاب نشره تحت عنوان (مراجعة لكتاب السلوك اللفظي لسكينر) وهذا عندما شبهوا تعلم الإنسان بتعلم حيوانات التجارب، وأن الاستجابات تتعدد إزاء المثير الواحد عند الإنسان وليس بالضرورة أن تكون نفسها[1]، فالسلوك اللغوي الإنساني سلوك عقلاني، ومنطقي وليس مجرد عادة آلية، فتشو مسكي في معالجته لقضية الاكتساب اللغوي عند الطفل يرى أن هذا الأخير يحتوي عقله على خصائص فطرية تجعله قادرا على تعلم اللغة الإنسانية، مما يتيح له تكوين قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه، ولا يتم ذلك تقليدا، وإنما بصورة إبداعية ابتكارية،[2] ويتجلى ذلك في إنشاءه لمجموعة غير منتهية من الجمل الجديدة التي لم يسمعها من قبل، وهذا الجانب الخلاق في لغة الإنسان هو ما يجعله يترقى عن الحيوان وينحاز عنه، كما يذهب تشومسكي إلى توضيح عمق هذه العملية التي تجري في ذهن الطفل، فيرى أنه يملك بالفطرة تنظيما إدراكيا أو ما يسميه بالحالة الأولية التي تشكل المرحلة السابقة للخبرة، ويرى أن هذه المرحلة جد ضرورية للتوصل إلى مرحلة امتلاك اللغة، أو الحالات الثابتة كما يسميهاّ، وما يضمن له تلك الخبرة[3] وبالتالي تكون الخبرة الجسر الذي بواسطته يتم بلوغ مرحلة إتقان وامتلاك اللغة.

2-الاكتساب اللغوي من منظور النظرية المعرفية (جان بياجي): تتفق هذه النظرية مع آراء تشو مسكي من حيث كون اللغة بناء فطريا يولد به الطفل، بيد أن

---

[1] – محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ط1، دار المعرفة الجامعية، الكويت، 2000، ص167.

[2] – نعوم تشو مسكي، اللغة و المسؤولية، ترجمة حسام الهنساوي، ط2، مكتبة الشروق، القاهرة، 2005، ص140.

[3] – المرجع السابق، ص141.

جان بياجي سمى نظريته بالمعرفية، كونه اهتم بالجانب المعرفي في تفسيره لنمو وتطور اللغة، ويعتبر الذكاء العنصر الفطري المسؤول عن نتاج اللغة وهو حين يبحث في اللغة، لا يتصور إمكانية وجود نمو وتطور لغوي بمعزل عن التطور المعرفي المرتبط بسمات التفكير لدى الإنسان بشكل عام عبر مراحل حياته،[1] ما يعني أن اللغة مصدرها الفكر لا السلوك، كما يظنه الاتجاه السلوكي، وفضلا عن ذلك فإن بياجي يرى أن هذه المعرفة هي بدورها: (تتكون تدريجيا عند الطفل عن طريق الاتصال بالواقع وبالمحيط الخارجي، ففي تفاعل هذين العنصرين "الطفل والمحيط" تكمن بداية التفاعلات...)[2] فمن خلال تفاعل الطفل مع بيئته تنمو كفاءته المعرفية واللغوية في آن واحد.

3-الاكتساب اللغوي من منظور النظرية السلوكية (آراء سكينر): يؤمن هذا الاتجاه بأن اللغة تشكل جزءا من السلوك الإنساني ككل، أي أنها مثل العادات والسلوكات الأخرى، فهي خاضعة لنفس القوانين التي تحكمها، إذ تنتج عن طريق الملاحظة الحسية للأشياء المحيطة، فتأتي الاستجابة اللغوية كمنعكس شرطي للمثير وبتكرار تلك الاستجابات تصير عبارة عن مجموعة من العادات الكلامية، ولقد شرح سكينر ذلك من خلال كتابه (السلوك اللغوي) حيث تعتمد نظريته على تكرار الحدث السلوكي كنتيجة لمصدر الحركة السلوكية المتأثرة بالشواهد الخارجية، بحيث تترسخ كعادة في طبيعة الفرد بعد تكرارها على مدى فترات سواء أتعلق الأمر باللـــــغة الأم أم بغيرها من اللغات المتعلمة،[3] ويشير سكينر إلى أن إنتاج هذه العادة تعزز وفق مبدأ المحاولة والخطأ وعلى أساسه تنمو لتصبح مهارة، كما يعتقد أن من أهم شروط تعزيز هذا الاكتساب عند الطفل هو مكافأته (والمقصود بذلك أن الطفل الذي يبدأ في

---

[1] – محمد هاشمي، المحيط اللغوي وأثره في اكتساب اللغة، دراسة وصفية تحليلية، الجزائر، 2005، ص92.

[2] – المرجع السابق، ص95.

[3] – لطبق الخياط، لغتنا: اكتسابها وتعلمها، دراسة موضوعية لبعض مفاهيم النظم اللغوية، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، المغرب 2008، ص126.

استخدام بعض المنطوقات تكون المكافأة الخاصة به متمثلة في تقبيل والديه له، أو في التأييد والاستحسان، والتشجيع من الذين يسمعون إليه في إطار البيئة الاجتماعية وهذا يساعد في نمو الطفل اللغوي)[1] وبالتالي عند سكينر السلوك هو المصدر المكون للغة.

4-الاكتساب اللغوي من منظور النظرية التفاعلية الاجتماعية (فيجوتسكي): إن الطفل باعتباره فردا من أفراد المجتمع، فهو ابن بيئته يؤثر ويتأثر بها وعلى هذا الأساس تنطلق أبحاث العالم اللغوي فيجوتسكي من هذا المنطلق إذ يرى أن اكتساب اللغة يتم في إطار احتكاك الطفل وتفاعله مع أفراد أسرته أولا ومجتمعه ثانيا، وبالتالي فحتى اللغة تعكس نفس هذا المسار في إطار الجماعة،[2] ومن ثمة: فإن هذا التفاعل في إطار المجتمع هو الذي يقدح شرارة نمو الطفل اللغوي بما فيه فكره وثقافته، وعليه فإن أفكار فيجوتسكي معاكسة لأفكار بياجي الذي ينطلق من القدرات الفكرية كأسس فطرية موروثة لتطور اللغة لمساعدة المجتمع في حين أن التفاعل الاجتماعي يكسب الفرد خبرات وتجارب هي المسؤولة عن إحداث نمط التفكير وطريقة الحديث لدى الطفل.

[1] – محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ص167.

[2] – محمد هاشمي، المحيط اللغوي وأثره في اكتساب اللغة، ص100.

المبحث الثالث:علاقة الملكة اللسانية بالقرآن والشعر والنثر.

أولا: الملكة اللسانية وتعليم القرآن.

يرى ابن خلدون أن الاقتصار على تعليم القرآن ينشأ عنه قصور ملكة اللسان جملة،[1] ويعلل ذلك أن البشر مصروفين عن الإتيان بمثل القرآن ومحاكاته مشيرا بذلك إلى ما ذكره القرآن: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وقوله تعالى: (أم يقولون إفتراء قل فأتوا بعشر صور مثله مفتريات) وقوله: (وقل وأتوا بصورة بمثله وأتوا ما استطعتم من دون الله) وبهذه الصرفة لا يتحقق بالمشتغلين به والمقتصرين عليه ملـــــكة تماثله أو تحاكيه.

كما أن الاقتصار على القرآن والاشتغال به يجعل صاحبه بمعزل عن تحقيق ملكة لسانية في غيره، والنتيجة التي وصل إليها المقتصرون على تعلم القرآن قاصرون في ملكة اللسان العربي،[2] إذ لا تحدث لهم هذه الملكة به أو بغيره، واعتبارات أهل إفريقيا والمغرب قاصرون في ملكة اللسان العربي، لكن أهل إفريقيا أخف في ذلك من أهل المغرب لأنهم يخلطون تعليم القرآن ببعض العلوم الأخرى والملكة اللسانية في رأيه حصلها الأندلسيون لأنهم اتخذوا القرآن أصلا في التعليم[3] ولأنهم يأخذون أنفسهم بكلام العرب وروايته ومدارسه العربية.

ثانيا: الملكة اللسانية وملكة الشعر.

يقول ابن خلدون: "الملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر" كما أن الشعر ملكة صناعية في نظره ويصف الكيفية التي تحصل بها هذه الملكة وهي حسب رأيه تبدأ

---

[1] – وليام مكاي، التعليم وثنائية اللغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، ترجمة ابراهيم العقيد، 1987، ص21.

[2] - محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، دار عالم الكتاب، 1979، ص39.

[3] – المرجع السابق، ص40.

باختيار ما يحفظ من شعر العرب ثم حفظه وبكثرة الحفظ تنشأ الملكة التي شبهها بالمنوال الذي ينسج عليه ثم يقبل بعد ذلك على النظم، وبممارسته وتوالي هذه الممارسة ترسخ هذه الملكة.[1] وهناك جانب آخر مهم في قول الشعر يعز احتواءه في نظرة ابن خلدون وصناعته، لأنه خارج عن الصنعة والانتساب وهذا الجانب هو "موهبة الشعر" ذلك الإشعاع الإلهي الذي يهجس في أعماق الشاعر بما يقول، ويطلعه على عوالم غريبة من السحر والصور والضلال والألوان التي لا يراها غيره، هو وحده يمكنه من السيطرة على تلك العوالم الباهرة وتقيدها في الأوزان والصور.

ثالثا: الملكة اللسانية وملكة النثر.

إن الملكة اللسانية عند ابن خلدون صناعة بحتة شأن كل الملكات ويقول هنا:"إن الصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ"[2] وهي تحصل بحفظ جملة صالحة من كلام العرب شعرا أو نثرا وهذا أمر منسوب إلى اللسان ويقول: (والذي هو في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ وأما المعاني فهي في الضمائر).

1 – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظم ابن خلدون، ص57.

2 – المرجع السابق، ص60.

الفصل الثاني:

الملكة اللسانية عند ابن خلدون ومالك بن نبي

الفصل الثاني: الملكة اللسانية في تصور ابن خلدون ومالك بن نبي

لقد كانت الملكة اللسانية محل اهتمام ودراسة في الدرس اللغوي، ولكل واحد نظرته الخاصة التي ينفرد بها أحيانا والتي يتوافق فيها مع الآخرين أحيانا أخرى، وفي الدرس اللغوي العربي نجد ابن خلدون تطرق لمفهوم الملكة وكذلك ابن نبي، فما هي الملكة اللسانية عند كل منهما؟ وما هي أوجه التشابه و الاختلاف بينهما؟

المبحث الأول: الملكة اللسانية في تصور ابن خلدون.

انطلق ابن خلدون في بناء تصوره لمفهوم الملـــكة اللغوية من منطلق اجتماعي، مستندا إلى خبرته الواسعة وتجاربه الحياتية الناتجة عن تنقلاته الكثيرة بين المغرب والأندلس ومصر وغيرها من الأصقاع الأخرى، واضطلاعه الواسع بعلوم العربية، والعلوم الأخرى كالتاريخ والفلسفة، والمنطق فتشرب من منابع متعددة ومختلفة، فتجلت ثراء ثقافته من خلال كتابه المقدمة، ولقد ورد مصطلح الملكة في عدة فصول منه، حيث بين لنا ماهيتها وكيفية حصولها، والعوامل المؤثرة فيها بحسب المتغيرات النفسية والاجتماعية، ومن ثمة فالملكة اللسانية من منظوره صفة راسخة ثابتة، تنتج عن الفرد بفعل عمليات متكررة لأفعال الكلام مصدرها السماع المستمر لأجنبية الكلام الفصيح، وآليتها المران المستمر والمنتظم على استعمالها حتى يحصل ترسيخها.

امتلاك اللغة والحذق فيها عنده شبيه بامتلاك صناعة من الصنائع أو حرفة من الحرف وأي خلل في هذه الصناعة، سيؤثر بالضرورة في الصورة أو الشكل الناتج عنها، فبين ذلك بقوله: (أعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تراكيب الألفاظ المفردة للتعبير بها على المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق

الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع)[1] بمعنى أن ملكة اللغة في نظر ابن خلدون: هي قدرة المتكلم على التحكم والتصرف في مفردات اللغة وتوظيف هذه الأخيرة وصياغتها على منوال حاذق ومتقن، ونظمها في تراكيب سليمة يتحقق من خلالها مقصود المتكلم في تبليغ مـــراده للمـستمع أو القارئ، لهذا نجده قد عرفها في موضع آخر من مقدمته قائلا: (اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام)[2]... أي أنه بذلك، كمن يصيب عصفورين بحجر واحد، وهما صناعة التركيب وضمان إفادة الملتقي (المستمع/القارئ).

ويقول ابن خلدون أيضا: (إن صناعة العربية هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية فمن هنا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها بالجملة).[3]

يرى ابن خلدون أن العلم والتعليم طبيعة في العمران البشري، وذلك لتميز الإنسان عن جميع الحيوانات بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه، والتعاون عليه بأبناء جنسه، والاجتماع المهيأ لذلك التعاون، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى، والعمل به، وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع.[4]

لكن هذه العلوم والصنائع لا تستقر ولا يتمكن منها الفرد، ولا يستفيد منها المجتمع إلا بوجود الملكة، كما يشير العلامة ابن خلدون، فالحذق: (في العلم والتفطن

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص554.

[2] – المرجع السابق، ص558.

[3] – المرجع السابق، ص481–482.

[4] – المرجع السابق، ص47.

فيه و الإستلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده... وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن حاصلا...).[1]

لكن الصنائع التي تحتاج إلى العلم، تحتاج في فهم العلامة ابن خلدون، إلى الملكة كذلك، حيث يقرر أن الصناعة هي الملكة في أمر ملكي فكري، وبكونه عمليا هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أوعى... والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره، مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة، ونقل المعاينة أوعى وأتم من نقل الخبر والعلم، فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر، وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق الصناعة وحصول ملكته...[2]

وحين درس العلامة ابن خلدون العلوم الشرعية في مقدمته استعان بمصطلح الملكة فهو يرى أن: (الإيمان تصديق حكمي، وإنما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس، كما أن المطلوب من الأعمال والعبادات أيضا حصول ملكة الطاعة والانقياد وتفريغ القلب عن شواغل ما سوى المعبود، والمطلوب في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطراري للنفس هو التوحيد وهو الإيمان الكامل الذي لا يقارن المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة، إذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف، وبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الإيمان).[3]

وفي المباحث الدقيقة التي عالج فيها القاضي ابن خلدون التعليم والعلوم وأثرهما في العمران البشري، نجد لمصطلح الملكة مكانة مركزية في هذه المعالجة، فالملكة الحاصلة من التعليم ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص48.

[2] – المرجع السابق، ص49.

[3] – المرجع السابق، ص487.

المطولة، بكثرة ما يقع في تلك من التكرار وإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة، وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته، كشأن الموضوعات المختصرة.[1]

وعند الحديث عن تطور الفكر اللغوي عبر العصور والملكة اللغوية عند العرب يقول ابن خلدون: (كانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن القاصد إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول، كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك، الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين، والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقى إليها مما يغايرها).[2]

ويقول أيضا: (يظن كثير ممن لم يعرف بشأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم أمر طبيعي، فكانت العرب بالطبع وليس كذلك وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع).[3]

وهدف هذا الموضوع معرفة تلك الملكة اللسانية وعلاقتها بالنطق الصحيح والدراسة المفيدة، ويقدم ابن خلدون تصورا لهذه الملكة من ناحيتين: ناحية الألفاظ المفردة والمركبة وناحية تمكن الملكة اللسانية، بالنظر إلى التراكيب اللغوية التي تعبر عن المعاني المقصودة للمتكلم فيتحقق بها الإفهام الصحيح ويراعى في تأليفها المطابقة لمقتضى الحال وهذا كما يقول هو معنى البلاغة.[4]

وحول تمكن الملكة للناطق بتكرار الأفعال "يصور ارتقاء هذا التكرار من الصفة إلى الحال إلى الملكة لأن الفعل لا يقع أولا وتعود منه للذات صفة لم تكرر فتكون

---

[1] – ابن خلدون، المقدمة، ص487.

[2] – السيد الشرقاوي، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، ص33.

[3] – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص1.

[4] – المرجع السابق، ص2.

حالا،[1] ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أو صفة راسخة".

وفعل التحصيل يكون على الشكل التالي:

تكرار الفصل تكرار الصفة تكرار الصفة غير الراسخة

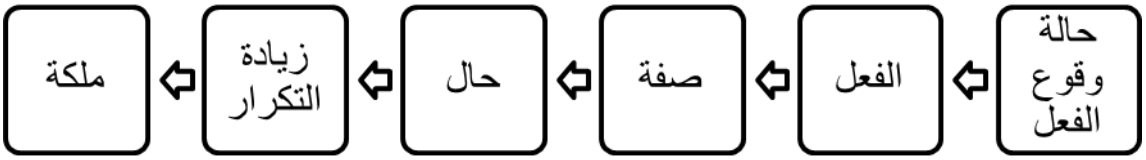

إن ابن خلدون في تصوره للملكة اللسانية "قد سبق بحق فهم اللغويين المحدثين لها من حيث اعتمادها على الكلمات لا المفردات ومن حيث تدرجها من العرق والعادة و المعايشة المستمرة للنطق في بيئة الفرد اللغوية.

ويؤكد على أن بنية الملكة اللغوية تنشأ في مستوى التراكيب النحوية لا في مستوى المفردات اللغوية، أي أن تشكل الملكة اللغوية يجري في الخط الأفقي للكلمات وليس في خطها العمودي.[2]

فهو يرى أن تمام الملكة اللسانية يكون من خلال التراكيب اللغوية وليس من خلال المفردات فتكمن الملكة لدى المتكلم مما أطلق عليه تكرار الأفعال، فتكرار المفردات والتراكيب ينمي لدى المتكلم ملكة تامة يتحقق بها الإفهام فعملية التركيب اللغوي هي الأخرى تخضع لقانون الارتقاء بحيث تبدأ من التراكيب البسيطة التي تتجلى في النحو وتنتهي إلى التراكيب القصوى التي يمثلها نظم القرآن مرورا بالتراكيب البلاغية والتراكيب الشعرية.

[1] – محمد بناني الصغير، البلاغة والعمران، ط4، 1996، ص114.

[2] – المرجع السابق، ص115.

وهناك تقابل بين نظرية الملكة اللغوية، ونظرية الملك الاجتماعية عند ابن خلدون كالتالي:

– **الملك:** نظام النبوة، نظام التصوف، نظام الشريعة، نظام السياسة، الأفراد في المجتمع.	– **الملكة:** نظم القرآن، نظم الشعر، نظم البلاغة، نظم النحو، المفردات اللغوية.

فابن خلدون كما نرى وضع الملكة مكان مفهوم مقام لذلك نجده عندما يتعرض لملكة البلاغة التي لا تختلف عن ملكة اللغة إلا من خلال الدرجة والذوق كما نراه يقول: (استعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان والذوق إنما هو موضوع لإدراك الطعوم وأيضا فهو وجداني اللسان كما أتت الطعوم محسوسة له فقيل له الذوق، والذوق كما هو معروف من الاصطلاحات الصوفية).[1]

ولقد تعرض ابن خلدون لصلة النحو بالملكة اللسانية بقوله: (إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهي علم بكيفية لا نفس كيفية).[2]

وشرح هذه الفكرة بالتعريف بين الملكة وقوانين هذه الملكة حيث يقول: (أن مما درسوا النحو وتعمقوا في أصوله وفروعه، وأفنوا أعمارهم في البحث عن مسائله ومشاكله، ولم يجيدوا هذه الملكة اللسانية، لا يستطيعون التعبير اللغوي الصحيح، بينما كثير من الكتاب الشعراء ممن أجادوا هذه الملكة يعبرون عما يريدون بطلاقة وسلاسة، وإن لم يتعمقوا في النحو وقضاياه).[3]

---

[1] – محمد بناني الصغير، البلاغة والعمران، ص117.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص481.

[3] – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص30.

وتعتبر هذه الفكرة المستنيرة التي تنسجم تماما مع نظرته، وقد سبق بها الدراسات اللغوية الحديثة إذ فرق بين اللغة والكلام، فاللـــغة عنده خاصية من خواص الجماعة، والكلام نشاط فردي، واللغة نظم موجودة في القـــــــواميس وكتب النحو، والصرف، والمتكلم حين يستعمل اللغة فإنه يلجأ لما يطلق عليه: "محاكاة النظير" بمعنى أنه يتكلم على ما اختزنه في ذهنه ومما اكتسبه من نظم البيئة اللغوية التي يعيش فيها، أو بعبارة أخرى إنه لا يتكلم كيفما اتفق، بل يتكلم بحسب العرف والعادة.

والدور الذي تؤديه كتب النحو في رأي ابن خلدون يرتبط بفهمه للمــلكة اللسانية، واعتمادها أساسا على النصوص اللغوية وبناءا على هذا لم يقتصر سبويه على قوانين الأعراب فقط بل على كثير من أمثال العـرب، وشواهد أشعارهم وعباراتهم، وهو بهذه الصفة يساعد على تكوين الملكة.[1]

وعليه فالملكة اللسانية اصطلاح لابن خلدون يقصد به قدرة اللسان على التحكم في اللغة والتصرف فيها، وهذا يتفق مع تفسير المعاجم لمعنى الملكة عموما، فهي منسوبة إلى اللسان الذي هو محلها.

ومن هنا يتضح أن ابن خلدون اهتم بالملكة اللسانية من حيث أنها خاصة بكل إنـــســـان، وتعني قدرته على تحصيل اللـغة وحسن استخدامها من حيث الجودة أو الفساد، وما يدل على ذلك هو سعي العلماء للحصول عليها.

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: (وهكذا تصير الألسن واللغات من جيل إلى جيل آخر، ويتعلمها العجم والأطفال، وهذا معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم، ولم يأخذوها من غيرهم).[2]

---

[1] – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص32.

[2] – المرجع السابق، ص34.

بمعنى أن العرب توارثوا هذه اللغة جيلا بعد جيل حتى تكونت لديهم الملكة اللسانية بعد ذلك، وهذا دليل على أن الملكة تتكون لدى الأشخاص أثناء فترة طويلة تؤهله فيما بعد إلى استعمال هذه اللغة استعمالا صحيحا.

وقد فرق ابن خلدون بين المـــــــلكة اللسانية والنحو أو ما يسمى صناعة اللغة، فالعرب لما خالطوا العجم فسدت ملكتهم اللسانية، فخشي أهل العلم على القرآن والحديث، واستنبطوا قواعد وقوانين لتلك الملكة، وجعلوها صناعة اصطلحوا على تسميتها بعلم النحو.[1]

وقد ركز ابن خلدون على اثنين من وظائف اللغة الستة، وهما الوظيفة التعبيرية ووظيفة ما وراء اللغة وهذه الوظيفة الأخيرة هي ما قصده ابن خلدون بقوله: "علم بكيفية" أي معرفة قوانين الملكة اللسانية، وهي معرفة مختلفة في القدرة عن استخدام هذه الملكة، أي الوظيفة التعبيرية.

أولا: أحوال الملكة اللسانية: فسادها وامتزاجها بغيرها.

يقول ابن خـــلـــدون: (ثم إنه لما فسدت هذه الملكة لمضر، بمخالطتهم الأعاجم، وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب، فيعبر بها عن مقصوده، لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم، ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الأمر، وأخذ من هذه وهذه فاستحدث (ملكة) وكانت ناقصة عن الأولى، وهذا معنى (فساد اللسان العربي) ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم

[1] – ابن خلدون، المقدمة، ص546.

لم تكن لغتهم (تامة الملكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم من الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية).[1]

وفي تصور ابن خلدون أيضا أن قصور الملكات له علاقة بتلاحقها وتدعيما لنظريته هاته يلج في أكثر من موضع أن الملكة الأولى أو السابقة تقصر بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة.[2]

فمثلا: لا تتفق الإجادة في فني المنظوم والمنثور معا، والسبب في ذلك أن كلاهما ملكة في اللسان، فإذا سبقت إحداهما الأخرى، قصرت الملكة اللاحقة، لأن "تمام الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة الأولى، أيسر وأسهل وإذا تعدى منها ملكة أخرى، كانت منازعة لها في المادة القابلة".[3]

ونستخلص من هذه المقولة، قصور ملكة الإنسان المزدوج لسانيا بمعنى قصور ملكة اللغة في اللغة الطارئة، وهو يعلل هذه القضية بعاملين اثنين، أولهما فارق السن في الاكتساب والتحصيل خلفة الأمومة والتي هي في الأصل سابقة عن اللغة الطارئة بالوضع والزمن وثانيهما سبق الملكة الأولى ورسوخها في النفس إلى حد تتملك فيه جوامع الاستعداد ومؤهلات القبول، لأن الملكات صفات للنفس لا يمكن ازدحامها ومن كان على الفطرة كان أسهل لتقبله للملكة وفي استعداد لتحصيلها أكثر من الذي تلونت نفسه بملكة أخرى سابقة، لأن النفس تصبح أقل استعدادا لقبول ملكة جديدة.[4]

ثانيا: العوامل المؤثرة في الملكة اللسانية.

لم يكتف اللسانيون بالبحث في مفهوم الملكة اللسانية وحسب، بل تطرقوا أيضا إلى العوامل المؤثرة فيها وهي كالآتي:

---

[1] - السيد الشرقاوي، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، ص54.

[2] - ابن خلدون، المقدمة، ص568.

[3] - ابن خلدون، المقدمة، ص568.

[4] – المرجع السابق، ص405.

1-**الدين:** للدين تأثير على لغة الشعوب فهو يعتبر مصدر اللغة وهي بدورها تكون اللسان الذي يتكلم به، ولا تزيد صلة الدين باللغة عن صلة أي عامل اجتماعي آخر بها فالعقيدة الدينية تؤدي إلى إبداع لغوي و اقتباس ألفاظ وعبارات من لـــغات أخرى، ومثل الدين في ذلك التجارة والحرب والسياسة والبحث العلمي ومختلف أوجه المظاهر الاجتماعية الأخرى.

فالعلاقة بين اللغة والدين إذن هي علاقة تاريخية محددة ليست علاقة عامة موجودة بالضرورة،[1] فالديانة الإسلامية ساهمت بحجم كبير في نشر اللغة العربية وتنمية ملـــكـــتها وحفظها من الاندثار خاصة بعدما بدأ العرب بمخالطة الأعاجم، فالمحافظة على الدين واللغة واجب كل مسلم بالحفظ وحمايتها من اللحن.

2-العزلة والاختلاط: مما لاشك فيه أن للعزلة والاختلاط تأثير على الملكة اللسانية من حيث الصحة والفساد فقد كانت اللغة فصيحة عند أهل البادية الذين كانوا بمعزل عن الأعاجم إلى أن تسربت إلى غير الفصيحة، وشابهها اللحن والسبب في ذلك يعود للنشاط الاقتصـــــادي، فالتجارة كانت أهم أنشطتهم وفرضت عليهم الانتقال والسفر، وأيضا الهجرة عامل مهم، فالمهاجر يطلع على لغات وثقافات أخرى، وبذلك يعود إلى موطنه بمخزون لغوي متأثر بلا شك باللغات الأخرى، وكذا هناك عامل الغزو والاستعمار الذي فرض التعامل فيما بينهم ولعل هذه أهم العوامل المؤثرة في دخول اللحن و الألسنة،[2] وقد كانت ملكة اللغة العربية موجودة عند العرب، فالمتكلم من العرب يسمع أساليب أهل جيله، والطفل يسمع استعمال التراكيب والمفردات في معانيها، وبالتكرار تحدث الصفة ثم الحال ثم الملكة، وهكذا تصير الألسن واللغات من جيل إلى جيل.[3]

---

[1] – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص91.

[2] – علي آيت أوشان، اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، مطبعة النجاح، ط1، 1998، ص72.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص554-555.

فقد كانت الملـكة اللسانية، تحصل على هذا المنوال دون تعليم وبصورة عضوية، فيتمكن منها المتعلم دون قصد تعلمها، ويتحدث لغة بيئته، بطريقة صحيحة دون التعليم،[1] وهذا يعود لصفاء البيئة اللغوية ونقائها، وبالتالي صحة السماع المتجدد.[2]

ثم يضيف: "إلا أن اللغات لما كانت ملكات كما مر، كان تعلمها ممكنا"[3] بمعنى أن تحصيل ملكة اللغة العربية لم يعد عفويا بعد هذا الاختلاط، بل أصبح صناعة وتعليما، يتمان بالحفظ من كلام العرب، وبجودة المحفوظ،[4] الذي يكون بكلام السلف.

وابن خلدون يعترف بفصاحة قريش وثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وأسد وبني تميم لبعدهم عن الأعاجم، بينما يقر بعدم فصاحة لغات ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن لمخالطتهم الفرس والروم والحبشة، أما في إفريقيا والمغرب، فقد خالط العرب البرابرة من العجم، فصارت لهم لغة أخرى ممتزجة من العجمة واللسان العربي، أما في المشرق فقد خالط العرب أمم الترك وفارس، ففسدت لغتهم بفساد الملكة.[5]

3-الطبع والتعليم: كانت العرب قديما تتكلم اللغة العربية الفصيحة والصافية والنقية من كل الشوائب البعيدة عن اللحن وعن كل أنواع الخطأ، فكانوا يتكلمون باللغة الفصيحة وذلك سليقة وجبلة أي أنهم لم يتلقوا أي تعليم من أحد بل وجدت عضوية وبالفطرة في ألسنتهم وهذا ما يعرف بالطبع، عن غيرهم وظهر صراع بين

---

[1] – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص101-102.

[2] – محمد فاروق النبهاني، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ط1، 1998، ص342.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص559.

[4] – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص102.

[5] – ابن خلدون، المقدمة، ص558-559.

هؤلاء الذين وجدت فيهم اللغة بالسليقة والطبع نجد الداعين إلى عدم الإستشهاد بالحديث النبوي الشريف وذلك عائد إلى أن رواته لم يكونوا عربا بالطبع بل تعلموا اللغة العربية بتعلم النحو ولذلك وقع اللحن في كلامهم.[1]

4-اختلاف الزمان والمكان: يذكر ابن خلون في مقدمته أن لاختلاف الزمان والمكان تأثير على الملكة اللسانية وهذا شأن كل اللغات، وما يعتريها من تغيير صوتي ونحوي، ودلالـــــــــي باختـلاف الزمـــان والمكـــان، فيتغير الزمـــان أو العصر، اختلفت اللغة المضرية القديمة عن لغة عهده، لأن اللسان العربي فسد بفساد الأعراب في أواخر الكلام،[2] وملكة اللسان المضري التي كانت ملكة عضوية أصبحت تتعلم، وبتغير المكان أو البيئة يجد ابن خلدون اختلافا بين اللسان المضري واللسان الحميري في كثير من الموضوعات وتصاريف الكلمات، وكذلك لأهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مختلفة عن لغة مضر القديمة في اصطلاحهم، فلغة أهل المشرق تختلف قليلا عن لغة أهل المغرب أو الأندلس.[3]

وحين قرر ابن خلدون أن اللغة ملكة في اللسان، واللسان هو كل أمة بحسب اصطلاحهم، وإنما عني بالاصطلاح مشاركة العصر والبيئة في وضعه، لأن (تغاير اللـــــغات يعود في جزء مهم منه إلى هاذين العاملين الاجتماعيين).[4] أي الزمان والمكان.

وكذلك يقرر ابن خلدون – كما سلف – فساد ملكة قبائل ربيعة ولخم وجذام... لبيئتهم الجغرافية المجاورة للفرس والروم والحبشة أما سلامة ملكة قريش وثقيف وهذيل فهي لابتعاد بيئتهم الجغرافية عن هذه الأمم.[5]

---

[1] – محمد سليمان ياقوت، مصادر التراث النحوي، دار الفكر بيروت، ط1، 2003، ص71.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص558-559.

[3] – المرجع السابق، ص556.

[4] – المرجع السابق، ص557-558.

[5] – محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص108-109.

المبحث الثاني: الملكة اللسانية في تصور مالك بن نبي.

اهتم ابن نبي بالمـــــلـكة اللسانية من حيث أنها خاصية يتسم بها كل إنسان، ويعني ذلك قدرته على تحصيل اللغة وكيفية استخدامها في حياته اليومية والقدرة على تمييزها من حيث الجودة أو الفساد، فإذا كان ابن خلدون قد تحدث في مقدمته عن الملكة اللسانية كصناعة، فإن ابن نبي قد اهتم بها كثقافة لأنه اعتبر الثقافة هي العنصر الأساسي في تكوين الملكة اللغوية وتحصيل المتطلبات لدى الأفراد، فمثلا يقال : (ثقف الشيء وهو سرعة التعلم) و (ثـقفت الشيء حذقته) ويقال (فلان شاب لقن ثقف) أي ذو فطنة وذكاء والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه[1] وهذا يعني أن الثقافة في نظر مالك بن نبي لها علاقة وطيدة بالتعلم والاكتساب والمعرفة.

ويعرف مالك بن نبي الثقافة بأنها : (مجوعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه).[2]

وبهذا التعريف تصبح الثقافة كما يرى ابن نبي ذلك المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته وبالتالي قدرته على الاكتساب وتحصيل ملكة لغوية.

وكذلك الثقافة عند ابن نبي هي صعيد من الفكر، لا صلة له بمستوى الدروس الملقنة سواء في نوعها أو في مداها، أو في كميتها إنها كـفاءة التـلقـــي و التعليم، إنما الذي يبقى حينما ننسى الذي تعلمناه،[3] إنها على الأخص، ما يجب أن نملكه أولا كي نتعلم[4] وبهذا فهي عنصر أساسي من عناصر البيئة[5] لأن البيئة

---

[1] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، ط4، 1984، ص19.

[2] – المرجع السابق، ص21.

[3] – عمر كامل مسقاوي، نظرات في الفكر الإسلامي، مالك بن نبي، دار الفكر، 1965، ص42.

[4] – المرجع السابق، ص42.

[5] – مالك بن نبي، آفاق جزائرية، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1989، ط1، ص119.

تضم كل ما يتعلق بالقيم الثقافية، بحيث يمكن أن نعتبر الثقافة بمثابة البيئة متكونة من الألوان والأشكال والحركات والأشياء، والمناظر والصور والأفكار المتفشية في كل اتجاه.[1]

هذا يعني أن العامل الأساسي في اكتساب اللغة عند الفرد، هي البيئة و إلى جانب هذا يشير مالك بن نبي إلى أن مشكلة الثقافة من الوجهة التربوية، هي في جوهرها مشكلة توجيه الأفكار، ولذلك يجب أن نحدد المعنى العام لفكرة التوجيه، فهو بصفة عامة قوة في الأساس، ووحدة في الهدف، فكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها، لأنها لم تستخدم ولأننا لم نعرف كيف نكتلها.[2]

فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد والوقت، وبواسطته يمكن أن يتغير مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساس فكرة الإنسان الذي تحركه دوافع دينية و بلغة أخرى الإنسان الذي يكتسب من فكرته الدينية معنى الجماعة ومعنى الكفاح، وليس كافيا أن ننتج أفكارا بل يجب أن نوجهها طبقا لمهمتها الاجتماعية التي نريد تحقيقها.[3]

ويقول ابن نبي أيضا: (طبيعي أن يفقد النشاط فعاليته إذا ما أدار ظهره للأفكار، فإذا به يضيع في متاهة من الإبهام و الغموض والشك دون أن يدرك أنه قد زاغ عن سواء السبيل).[4]

كما يقف مالك بن نبي عند نقطة أساسية مفادها أن اللغة تتعرض إلى أمراض، وهذا ما جعله يقول: (ومما زاد الطين بلة في تلك الفترة، أن الجبهة الشعبية

---

[1] – مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ص125.

[2] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص69.

[3] – المرجع السابق، ص169.

[4] – المرجع السابق، ص71.

كان لها دور على الحياة العامة الجزائرية مجالس الكلام، فاستولى على كل فرد، داء الكلام، كلامه أو كلام جاره وإنه لداء قاتل).[1]

أي أنه أثناء الفترة الاستعمارية، ونتيجة الاختلاط وتزاوج اللغتين العربية والفرنسية، أصبح هناك فساد في اللغة أو ما يسمى بالملكة اللسانية، ويضيف مالك إلى كلامه، أنه منذ استولى علينا مرض الكلام، فقد تكبدنا من الخسائر التي لا تحصى في الرصيد اللغوي، حيث أصبح المجتمع سفينة تائهة، على عكس ما مضى، كانت الأفكار نقية صافية، والنوايا خالصة صادقة، فاستحال كل ذلك إلى الخلط والتباغض والانتهازية والثرثرة.[2]

يقر مالك بن نبي أن المجتمع لا يمكنه مواكبة أو مسايرة الحضارة إلا إذا كان الفرد يملك قدرات لغوية أو ملكات فردية هائلة تساهم في ذلك النمو أو التطور.

كما أنه يرى بأن الحضارة ليست كل شكل من أشكال التنظيم في الحياة البشرية، ولكنها شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية، حيث يجد هذا الشكل نوعيته في استعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معينة، لا يكون المجتمع المتخلف في حالة تكيف معها، لا من حيث رغبته ولا من حيث قدراته أو بعبارة أخرى لا من حيث أفكاره ولا من حيث وسائله.[3]

فالله سبحانه وتعالى، قدر لكل خلقه في أحسن تقويم وقد أحسن تقويمهم ليسيروا طبق سنن معينة تحقق حاجاتهم البسيطة و المعقدة لضمان بقائهم، فقدر للحيوان مجموعة من الغرائز تتكفل ضمان حياته، لكنه عز وجل فضل الإنسان بشيء هو العقل يتصرف به لضمان حاجاته في العيش اليوم.

وخلاصة القول أن مـــالـك بن نبي اهتم بالملكة اللسانية، فهو يرى أن للبيئة الدور والأثر الكبير في تكوين الملكة فهي بمثابة الرحم للقيم الثقافية وأن هناك

---

[1] – مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن(الطالب)، دار الفكر دمشق، 1984، العدد9، ط1، ص34.

[2] – مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص363.

[3] – مالك بن نبي، مجالس دمشق، ط1، دار الفكر دمشق، 1984، العدد9، ط1، ص34.

أمراض الكلام التي تصيب اللسان، بحيث تؤدي إلى فساد الملكة أو قصورها، وبعبارة أخرى يصبح استعمال اللغة غير سليم كما أعتبر أن اللغات شبيهة بالثقافة التي تبقى عالقة بالأذهان.

الفرق بين اللسان وعلم اللسان والملكة اللغوية:

1- **اللسان:** أداة تعبير عما يكنه الإنسان، أي أداة تبليغ أغراض، فاللسان هو مجموعة أصوات يخرجها الإنسان للاتصال بغيره أو للتعبير عن حاجته.

2- **علم اللسان:** هو الدراسة العلمية التي تتناول اللسان وبناء على هذا فالناس كلهم مشتركون في اللسان، وفي القدرة على الكلام، فعلم اللسان هو الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري، من خلال الألسنة الخاصة لكل قوم والذي يسمى بالفرنسية L'inguistique والغاية من هذا العلم هي التطلع إلى أسرار اللسان كظاهرة بشرية عامة الوجود، ومن ثمة إلى القانون الذي يضبط بنيته ومجاريه وتطوره على مر الزمان وكيفية استعمال الناطقين به، وغير ذلك بالاعتماد على أمرين:[1]

- مشاهدة الظواهر اللغوية الجزئية ثم استنباط قوانينها.
- الاستدلال العقلي والعملية الافتراضية الإستنتاجية.

3- **الملكة اللغوية:** هي القدرة على الاتصال فالإنسان يعبر ويستمع إلى غيره في نفس الوقت ولا يمكن له أن يحسن هذا التبليغ إلا إذا كان يحسن التلقي وبناء على هذه الأدوات التي تجعل الذوات الخفية تتصل ببعضها البعض، بالمعلومات كل هذا بفضل اللسان و القدرة على الاتصال تسمى الملكة اللغوية.

[1] – التواتي بن التواتي، مفاهيم أساسية في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص25.

المبحث الثالث: المقارنة بين الملكة اللسانية عند ابن خلدون ومالك بن نبي.

أولا: أوجه التشابه.

1-يتفق كل من ابن خلدون و ابن نبي في أن حصول الملكة متشابه عند جميع البشر فيقول ابن خلدون: (اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة)،[1] و ابن نبي يرى أن اللغات كلها شبيهة بالثقافة التي تبقى عالقة بالأذهان.[2]

2-يرى ابن خلدون أن الملكة تتعرض للقصور والفساد لعدة أسباب،[3] وهذا ما يتفق فيه مع ابن نبي حينما تكلم عن أمراض الكلام التي تصيب اللسان،[4] بحيث تؤدي إلى فساد الملكة أو قصورها بعبارة أخرى أصبح استعمال اللغة غير سليم.

3-يتفقان أيضا في أن للبيئة دور كبير في تكوين الملكة فابن خلدون يرى أنه بفضل البيئة يعبر عن المعاني المقصودة ويحدث ذلك بفعل التكرار الذي يعد مرحلة أولى للملكة اللسانية ثم يرتقي هذا التكرار من الصفة إلى الحال معنى هذا أن الحال صفة غير راسخة وبزيادة التكرار تصبح ملكة أو صفة راسخة وكذلك الحال بالنسبة لابن نبي أن للبيئة الدور الكبير في تكوين الملكة فهي بمثابة الرحم للقيم الثقافية وذلك بقوله: (المصطلحات التي نستعملها اليوم هي غير المصطلحات التي كانت تستعمل من قبل).[5]

---

[1] – ابن خلدون، المقدمة، ص47.

[2] – مالك بن نبي، مجالس دمشق، ص92.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص476.

[4] – مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن الطالب، ص263.

[5] – محمد فاروق النبهاني، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ص 153.

ثانيا: أوجه الإختلاف.

1- يؤكد ابن خلدون أن الملكة لا تكون بالمفردات بل بالتراكيب التي تركب المفردات حتى تعبر عن المعاني،[1] وما ينبغي التركيز عليه هو أن صاحب المقدمة حين عرف الملكة بأنها صفة راسخة في النفس قدم نقدا لمن يعتبرون الملكة طبعا وجبلة لأن هذين الأخيرين طبيعة أولى للإنسان بينما الملكة صفة بعدية راسخة تتكون بالاكتساب، بينما كل هذا لم يرد في دراسة مالك بن نبي.

2- لقد فرق ابن خلدون بين الملكة والتأدية، الكلام واللغة، الملكة والطبع، حيث يرى أن الملكة هي قدرة الإنسان على تحصيل اللغة أما التأدية فهي تجديد لهما أما بالنسبة للكلام واللغة فهو يرى أن الكلام من خواص الفرد وهو نشاط حي فيه جدة الاستعمال وحيويته أما اللغة فهي من خواص المجتمع وهي نظم معتمدة في القواميس وكتب النحو والصرف، أما الملكة والطبع فهو يقول: (أما الملكة بعد اكتسابها تكون لاشعورية، أما الطبع فإنه منذ البداية غير شعوري لأنه فطري ولد مع الإنسان وهذا خلاف ما رآه مالك بن نبي حيث انشغل عما ذكرناه سالفا للتركيز على كيفية استعداد المجتمعات لتأدية هذه اللغة.

3- يميز ابن خلدون بين الملكة اللسانية والنحو (صناعة اللغة) فالنحو هو علم بقوانين وقواعد الملكة وليس الملكة نفسها وهذا ما لم نجده عند ابن نبي.

4- يؤكد ابن خلدون على فكرة هي أن: (السماع أبو الملكات اللسانية)،[2] أما مالك بن نبي فهو ينطلق من فكرة أن البيئة هي المنتج الأساسي للملكة.

5- يرى ابن خلدون أن الملكة صناعية تكتسب بالتكرار أما مالك بن نبي فهو يرى أن للقيم الثقافية والبيئة الدور والأثر البارز في تكوينها.[3]

---

[1] – مالك بن نبي، مجالس دمشق، ص54.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص546.

[3] – المرجع السابق، ص560.

ملاحق

ملاحق

السيرة الذاتية لابن خلدون:

هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن خطاب، ولد بتونس في رمضان 732هـ الموافق لـ 27 ماي 1332م وهو من أصل عربي خضرمي فنشأ بالمغرب، وتلقى على أبيه وعلى بعض علماء تونس والواردين إليها القرآن العظيم حفظا تفسيرا ثم الحديث والفقه واللغة والنحو وكثير من الشعر وفي السادسة عشر من عمره، كان قد استوفى علومه الدينية واللغوية ثم توسع بعد ذلك وازداد من علوم المنطق والفلسفة شيئا كثيرا[1].

وذكر في كتابه التعريف مجموعة من أساتذته، واختص منهم والده محمد الذي يقول عنه أنه نزع عن طريقه السيف والخدمة إلى طريق العلم وكان فقيها مقدما في صناعة العربية ومن بين أساتذته أيضا: "محمد بن عبد المهيمن الخضرمي" الذي كان إمام المغرب في عصره الحديث واللغة، والثاني: "أبو عبد الأبلي" شيخ العلوم العقلية في عصره وقد أفاد منه فائدة جليلة الاهتمام بهما والثناء عليهما وعل مقدرتهما العقلية ومن بين الكتب التي درسها ابن خلدون (اللامية) في القراءات والرائية في رسم المصحف وكلاهما للشاطبي، والتسهيل في النحو لابن مالك، والأغاني للأصفهاني والحماسة وشعر أبو تمام والمتنبي ومعظم كتب الحديث وعلومه[2].

استمر ابن خلدون في طلب العلم حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ثم تغير مجرى حياته بسبب الطاعون الذي اجتاح العالم سنة 749هـ فتوفي والده وأستاذه

---

[1] – عمر خروخ، كتاب تاريخ الفكر العربي في أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1972، ط4، 1983، ص210.

[2] – ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مقدمة المحقق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص7.

خاتمة

خاتمة

يمكننا القول أنه لكل مسار علمي نقاط يتوقف عندها، لا نسميها نهاية، وإنما بداية لدراسة جانب آخر، وهكذا بدأت دراسة مالك بن نبي للنقاط التي توقف عندها عبد الرحمن بن خلدون، وعليه تمحورت دراستنا في مجال واسع، وشاسع، لكل من يريد أن يغوص في أعماقه، ويغرف في موجوداته، ويستفيد من خباياه، وعلى العموم، فقد توصلنا في دراستنا وجهدنا المتواصل إلى بعض الاستنتاجات يمكن إجمالها في مايلي:

1- لقد تراوحت آراء المفكرين والباحثين حول الملكة اللسانية بين العـرب والغرب، ولكل واحد من هؤلاء العلماء، قد انطلق من منطلقات ومعطيات تبعا للبيئة التي ينتمي إليها فكان ما قدموه عبارة عن استنتاجات نتجت بفعل تحليلهم للواقع اللغوي للفترة الاستعمارية التي عاشوا فيها فكانت لهم تصورات حول الملكة اللسانية.

2- إن هؤلاء العلماء رغم تنوع دواعي تأليفهم و اختلاف البيئات اللغوية التي وجدوا فيها وكذا الحيثيات المتعلقة بها، إلا أن آراءهم حول ماهية الملكة اللسانية تتقارب وتتجه إلى مصب واحد، وبالتالي يمكن تلخيص مفهوم الملكة اللسانية على النحو التالي:

I- هي تلك القدرة التي تنطلق من القوة الداخلية للمتكلم، أو ذلك الاستعداد المهيأ للنطق والتلاغي باللغة، مصدره المحيط والعرف الاجتماعي تتكون وتحصل بالسماع، وتتدعم بالمراس المستمر، الذي يجمع بين الإرادة في إتقان اللغة السليمة وترسيخ عادة استعمالها.

II- هي تمكن المتكلم من إيصال مقصوده إلى السامع أو القارئ في قالب يجمع بين السلامة اللغوية من جهة وبين القدرة على التصرف في تراكيب وأسلوبي الكلام مع الحفاظ على انسجامها واستقامتها لغرض تحقيق ذلك المقصود.

3- إن مصطلح الملكة اللغوية قد اكتمل واستقر عند ابن خلدون بطريقة أكثر نضجا وعمقا، حيث نالت هذه القضية اهتماما واضحا لديه، وقدم تنظيرا لهذه الملكة بقوله: (اللغة ملكة تكتسب بالتكرار والتدريب والقياس والسمع) من خلال هذا نستنتج أن الملكة اللسانية في التراث العربي عبروا عنها بالغريزة والطبع، أما عند الغرب فقد ارتبطت عندهم باللغة الإنسانية التي تدرس في ذاتها ولذاتها عند ديسوسير، وكفاءة لغوية عند نعوم تشومسكي.

4- يعد موضوع الملكة اللسانية والاكتساب اللغوي قضية تتقاطع وتشترك فيها العديد من الدراسات والمعارف، والاكتساب أيضا كان متواجدا في التراث العربي عند كثير من العلماء أمثال سبويه و ابن حزم والخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهم...

5- الملكة اللسانية لها علاقة وطيدة بالقرآن والشعر والنثر.

6- هناك تقارب بين ابن خلدون و ابن نبي في تعريفهما للغة بكونها ملكة إلا أنهما يختلفان تماما كون هذه الملكة صناعية تكتسب بالتكرار عند ابن خلدون، وبالثقافة عند ابن نبي.

7- يتفق ابن خلدون و ابن نبي في أن حصول الملكة يمر بحالات.

8- كما يتفقان كذلك في أن حصول الملكات متشابه عند جميع البشر.

9- يتفق كل من ابن خلدون و ابن نبي في أن الملكة تتعرض للقصور والفساد.

في الأخير يمكن أن ننوه بأنه لم نتمكن من سد جميع الفراغات والنقائـــص الموجودة في بحثنا، باعتبار أن مجال الملكة اللسانية و اكتساب اللغة واسع جدا، لا يمكن التحكم فيه، ومن هذا المنطلق ندعوا الله عز وجل أن نكون قد وفقنا في أداء هذا العمل البسيط والمتواضع ولو بالقليل وتبليغ الرسالة كما يستوجب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

*__القرآن الكريم__، طباعة دار الفجر الإسلامي، دمشق، 1983، ط3، رواية ورش.

1 – ابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثير، القاهرة، 1963، د.ط، ج4، مادة ملكة، تحقيق أحمد الزاوي ومحمد العنابي.

2 – ابن التواتي التواتي، مفاهيم أساسية في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، د.ط.

3 – ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، لبنان، 2001، د.ط، ج.1

4 – ابن خلدون عبد الرحمن:

- المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، د.س.
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، دس.

5 – ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي، شرح عيون الحكمة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1989، د.ط.

6 – ابن نبي مالك:

- آفاق جزائرية، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1989، ط1.
- شروط النهضة، دار الفكر، الجزائر، 1965، ترجمة عبد الصبور شاهين، د.ط.
- صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب للطباعة والنشر، الجزائر، 1998، تحقيق عبادة عبد اللطيف.
- مشكلة الثقافة، دار الفكر، الجزائر، 1984، ط.4

7 – الأوراغي محمد، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، دار الكلام للنشر والتوزيع، ط1، د.س.

8 – الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، دار الكتب العلمية، 1978، ط1.

9 – الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، الدار المصرية اللبنانية، 1991، تحقيق يوسف زيدان، د.ط.

10 – الشرقاوي السيد، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2002، ط1.

11 – الغزالي أبو حامد ، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، مكتبة الجندي، القاهرة، 1998، د.ط، حققه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا.

12 – الفاسي الفهري عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، المغرب، 2006، ط1، ج.1

13 – المسدي عبد السلام:

- التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، د.س، ط1.
- نظرية العرب في اكتساب اللغة، مجلة الأقلام، دار الجاحظ، بغداد، 1978، د.ط.

14 – المهيري عبد القاهر، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986، د.ط.

15 – النبهاني محمد فاروق، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، 1998،ط1، د.ب.

16 – آيت أوشان علي، اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي، مطبعة النجاح، 1998، ط1.

17 – بناني محمد الصغير، البلاغة والعمران، د ب، 1996، ط.4

18 – تمام حسان، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب القاهرة، 2000، ط4.

19 – خروخ عمر، كتاب تاريخ الفكر العربي في أيام ابن خلدون، دار العلو للملايين، مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1972، ط1، لبنان، 1983، ط.4

20 – شايف عكاشة، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، مدخل تحليلي في فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، المطبوعات الجامعية، 1993، ط.2

21 – عويمر مولود، مالك بن نبي رجل الحضارة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ب.ط.

22 – عيد محمد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، دار عالم الكتاب، 1979، ب.ط.

23 – لطبق الخياط، لغتنا اكتسابها وتعلمها، دراسة موضوعية لبعض مفاهيم النظم اللغوية، دار النشر والتوزيع، المغرب، 2006، د.ط.

24 – مسقاوي عمر كامل، نظرات في الفكر الإسلامي (مالك بن نبي)، دار الفكر، 1965، د.ط.

25 – هاشمي محمد، المحيط اللغوي وأثره في اكتساب اللغة دراسة وصفية تحليلية، جامعة الجزائر، 2005/.2006

26 – ياقوت محمود سليمان:

- مصادر في التراث النحوي، دار الفكر، بيروت، 2003، ط1.
- منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، الكويت، 2000، ط1.

المعاجم:

1 – ابن تريدي بدر الدين، قاموس التربية الحديث عربي–فرنسي–إنجليزي، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، د.ط.

2 – ابن فارس أبي الحسين أحمد، مقاييس اللغة، دار الجبل، بيروت، ج5، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

3 – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر لبنان، 2005، ط4، ج.2

4 – الجوهري اسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، 1989، ج4، مادة ملك، تحقيق مهدي المخزومي.

5 – الفراهيدي الخليل بن أحمد، مؤسسة الأعلمين للمطبوعات، بيروت، 1988، د.ط، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي.

المجلات:

1 – اللسانيات، الجزائر، 2003، العدد4، دط.

2 – مجالس دمشق، دار الفكر دمشق، 1984، العدد9، ط1.

3 – مذكرات شاهد القرن (الطالب)، دار الفكر دمشق، 1984، العدد9، ط1.

الكتب المترجمة:

1 – تشومسكي نعوم، اللغة والمسؤولية، مكتبة الشروق، القاهرة، 2005، ط2، ترجمة حسان البهنساوي.

2 – مكاي ويليام، التعليم وثنائية اللغة دار الفكر للنشر والتوزيع، 1987، د.ط، ترجمة ابراهيم العقيد.

3 – ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، 1982، ط.4

4 – ميشال ماكار، الخطاب اللغوي واكتساب اللغة في علم اللغة التطبيقي، 2009، ط1، ترجمة المركز الثقافي للتعريب والثقافة.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....

الفصل الأول: الملكة اللسانية والاكتساب اللغوي في منظور الدراسات المختلفة.....02

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للملكة اللغوية.....02

أولا: الملكة اللسانية من منظور الفكر العربي القديم.....06

ثانيا: الملكة اللسانية من منظور الفكر الحديث والمعاصر.....09

المبحث الثاني: الملكة اللسانية والاكتساب اللغوي.....15

أولا: الاكتساب اللغوي في التراث العربي.....16

ثانيا: الاكتساب اللغوي عند الغرب.....20

المبحث الثالث: علاقة الملكة اللسانية بالقرآن والشعر والنثر.....23

أولا: الملكة اللسانية وتعليم القرآن.....23

ثانيا: الملكة اللسانية وملكة الشعر.....23

ثالثا: الملكة اللسانية وملكة النثر.....24

الفصل الثاني: الملكة اللسانية عند ابن خلدون ومالك بن نبي.....26

المبحث الأول: الملكة اللسانية عند ابن خلدون.....26

المبحث الثاني: الملكة اللسانية عند مالك بن نبي.....38

المبحث الثالث: أوجه التشابه والاختلاف.....42

أولا: أوجه التشابه.....42

ثانيا: أوجه الاختلاف.....43

ملاحق.....44

خاتمة.....

قائمة المصادر والمراجع.....54

فهرس الموضوعات.....59